﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

عداوة [(١)] : العداوة: بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو.

مودة : المودة: حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر.

قسيسين : جمع قسيس: وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارى.

ورهباناً : الرهبان: جمع راهب: مشتق من الرهبة وهو الرجل فى النصارى يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة.

ما أنزل إلى الرسول : الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة على تشريف عيسى ووالدته مريم عليهما السلام، وأن عيسى عبدالله

(١) ﴿عداوة﴾ منصوب على التمييز مبيّنا لنسبة أشد وكذا مودّة.

الشـــاهدين : جمع شاهـد: من شهـد لله بالـوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك.

الصالحيـــن : جمع صالح: وهو من أدّى حقوق الله تعالى كاملة من الإيمان به وشكره على نعمه بطاعته، وأدّى حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم.

فأثابهم الله بما قالوا : جزاهم بما قالوا من الإيمان ووُفّقوا له من العمل جنات تجري من تحتها الأنهار.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعداوة كل من اليهود والمشركين للمؤمنين وأنهم أشد عداوة من غيرهم، فيقول ﴿لتجدن[1] أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ أما اليهود فلما توارثوه خَلفاً عن سلف من إنكار الحق. والوقوف في وجه دعاته، إضافة إلى أن أملهم في إعـادة مجدهم ودولتهم يتعارض مع الدعوة الإسلامية وأما المشركون فلجهلهم وإسرافهم في المحرمات وما ألفوه لطول العهد من الخرافات والشرك والضلالات. كما أخبر تعالى أن النصارى هم أقرب مودة للذين آمنوا فقال: ﴿ولتجدن أقربهم[2] مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ وعلل تعالى لهذا القرب من المودة بقوله: ﴿ذلك. . .﴾ أي كان ذلـك بسبب أن منهم قسّيسين[3] ورهباناً فالقسيسون علماء بالكتاب رؤساء دينيّون غالباً ما يؤثرون العدل والرحمة والخير على الظلم والقسوة والشر والرهبان لانقطاعهم عن الدنيا وعدم رغبتهم فيها ويدل عليه قوله: ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن الحق وقبوله والقول به ولذا لما عمت المادية المجتمعات النصرانيّة، وانتشر فيها الإلحاد والإباحية قلّت تلك المودة للمؤمنين إن لم تكن قد انقطعت. أما قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم

---

(١) اللاّم في ﴿لتجدن﴾ لام القسم. وهذه الآيات الأربع كالفذلكة لما سبق من الآيات في أهل الكتاب.

(٢) هذه الآية نزلت في النجـاشي وأصحـابه إذ هاجر إليه المؤمنون الهجرة الأولى والثانية هروبا من اضطهاد المشركين وأذاهم، ولمّـا بعثت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة بهدايا تطالب برد المهاجرين إليها دعا النجاشي الرهبان والقسس وأسمعهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم فبكوا حتى فاضت أعينهم من الدمع فنزلت هذه الآية.

(٣) جمع قسّ ويجمع على قساوسة، والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفعله رهِب يرهب رهباً ورهبا ورهبة إذا خاف والرهبانية والترهب التعبّد في صومعة أو دير.

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾[1] فالمعنيُّ بها من أسلم من النصارى بمجرد أن تُلي عليهم القرآن وسمعوه كأصحمة النجاشي وجماعة كثيرة ومعنى قولهم ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أنهم بعد ما سمعوا القرآن تأثروا به فبكوا من أجل ما عرفوا من الحق وسألوا الله تعالى أن يكتبهم مع الشاهدين ليكونوا معهم في الجنة، والشاهدون هم الذين شهدوا لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وأطاعوا الله ورسوله من هذه الأمة وقولهم: ﴿ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا[2] مع القوم الصالحين﴾ فإن معناه: أي شيء يمنعنا من الإيمان بالله رباً وإلهاً واحداً لا شريك له ولا ولد ولا والد. وبما جاء من الحق في توحيده تعالى ونبوة رسوله محمد ﷺ، ومن الطمع في أن يدخلنا ربنا الجنة مع الصالحين من هذه الأمة. ولما قالوا هذا أخبرهم تعالى أنه أثابهم به ﴿جنات[3] تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾، وأخبر تعالى أن ذلك الجزاء الذي جزاهم به هو ﴿جزاء المحسنين﴾ وهم الذين أحسنوا القول والعمل مع سلامة عقائدهم، وطهارة أرواحهم حيث لم يتلوثوا بالشرك والمعاصي ثم أخبر تعالى بأن الذين كفروا[4] بالله إلهاً واحداً وبرسوله نبياً ورسولاً، وكذبوا بآياته القرآنية أولئك البعداء هم أصحاب[5] الجحيم الذين لا يفارقونها أبداً.

هـداية الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ عظم عداوة اليهود والمشركين للإسلام والمسلمين.

٢ـ قرب النصارى الصادقين في نصرانيتهم من المسلمين.

٣ـ فضيلة التواضع، وقبح الكبر.

---

(١) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجرّ تتناوب قال امرؤ القيس:

ففاضت دموع العين مني صبابة   على النحر حتى بَلّ دمعي محملي

أي غلاف السيف.

(٢) في الكلام إضمار أي: ونطمع أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين، وهم أمّة محمد ﷺ الصادقين الصالحين.

(٣) دلّ هذا الجزاء الحسن على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم إذ به أجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم ورجاءهم وهكذا كلّ من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة.

(٤) في هذا احتراس إذ ما كلّ النصارى آمنوا لما سمعوا القرآن وبكوا وسألوا الله في صدق وآمنوا وعملوا الصالحات فأثابهم الله الجنة، لا بل منهم الذين كفروا وكذبوا وهم الأكثرون فجزاؤهم الجحيم يلازمونها أبداً لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم.

(٥) يقال: نار جحمة على وزن نجمة أي: شديدة اللهب قال شاعر الحماسة الطائي:

نحن حبسنا بني جديلة في   نارٍ من الحرب جحمةِ الضرَمِ

٤ـ فضل هذه الأمة وكرامتها على الأمم قبلها .

٥ـ فضل الكتابي إذا أسلم . وحسن إسلامه .

٦ـ بيان مصير الكافرين والمكذبين وهو خلودهم في نار جهنم .

٧ـ استعمال القرآن أسلوب الترغيب والترهيب بذكره الوعيد بعد الوعد .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

لا تحرموا	: التحريم : المنع أي لا تمتنعوا .
ما أحل الله لكم	: أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب .
حلالاً طيباً	: مباحاً غير مستقذر ولا مستخبث .
لا يؤاخذكم الله باللغو	: لايعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين .
عقدتم الأيمان	: عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا .
من أوسط	: أغلبه ولا هو من أعلاه ، ولا هو من أدناه .
أهليكم	: من زوجة وولد .

تحرير رقبة : عتقها من الرق القائم بها.

يبين الله لكم آياته : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال وحرام.

معنى الآيـات :

الآيتـان الأولى (٨٧) والثانية (٨٨) نزلتا في بعض[١] الصحابة منهم عبدالله بن مسعود وعثمان بن مظعون وغيرهما كانوا قد حضروا موعظة وعظهم إياها رسول الله ﷺ فزهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة. وعزموا على التبتل والانقطاع عن الدنيا فأتوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسألوها عن صلاة رسول الله ﷺ وقيامه فكأنهم تقالّوا ذلك فقال أحدهم: أنا لا آتي النساء، وقال آخر: أنا أصوم لا أفطر الدهر كله وقال آخر: أنا أقوم فلا أنام، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخطب الناس، وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وإني وأنا رسول الله لآكل اللحم، وأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات[٢] ما أحل الله لكم﴾ من طعام وشراب ونساء، ﴿ولا تعتدوا﴾ بمجاوزة[٣] ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم فإن الله تعالى ربكم ﴿لا يحب المعتدين﴾ ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ أما الحرام فلا يكون رزقاً لكم، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه بترك الغلوّ والتنطع المفضي بكم إلى الترهب ولا رهبانية في الإسلام. ﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي رباً يشرع فيحلل ويحرم، وإلهاً يطاع ويعبد، هذا ما دلت عليه الآيتـان الأولى والثـانية أمـا الآية الثـالثة وهي قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ فقد نزلت لما قال أولئك الرهط من أصحاب الرسول ﷺ: (لقد حلفنا على ما عزمنا عليه من التبتل فماذا نصنع بأيماننا) فبين لهم تعالى ما يجب عليهم في أيمانهم لما حنثوا فيها بعدولهم عما حلفوا عليه فقال: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ وهو ما لا قصد للحلف فيه وإنما جرى لفظ اليمين على اللسان فقط نحو: لا والله أو بلى والله، ومثله أن

---

(١) أخرج البخاري عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلمّا أخبروا كأنّما تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدّم وما تأخر، فقال أحدهم أمّا أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أمّا أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أمّا أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج ابدا فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(٢) قالت العلماء هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها تردّ على غلاة المترهبين وأهل البطالة من المتصوفين، وقال الطبري لا يجوز لمسلم تحريم شيء مما أحلّ الله لعباده المؤمنين على نفسه من الطيبات.

(٣) إذا حرّم العبد على نفسه شيئا لا يحرم عليه إلاّ امرأته فإنّها تحرم عليه بالطلاق.

يحلف على الشيء يظنه كذا فيظهر على خلاف ما ظن، ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي قصدتموها عازمين عليها[1]، فمن حنث بعد الحلف فالواجب في حقه خروجاً من الإثم كفَّارة وهي ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين نصف صاع أي مدَّان[2] من أعدل ﴿ما تطعمون أهليكم﴾ ما هو بالأجود الغالي، ولا بالأردأ الرخيص، ﴿أو كسوتهم﴾ كقميص وعمامة، أو إزار ورداء، ﴿أو تحرير رقبة﴾ أي عتق رقبة مؤمنة ذكراً كان أو أنثى صغيرة أو كبيرة فهذه الثلاثة المؤمن مخيّر في التكفير بأيها شاء، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام مفرقة أو متتابعة كما شاء هذا معنى قوله تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾، وقوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾ أي هذا الذي بين لكم هو ما تكفّرون به ما علق بنفوسكم من إثم الحنث. وقوله ﴿واحفظوا أيمانكم﴾[3] أي لا تكثروا الحلف فتحنثوا فتأثموا فتجب عليكم الكفارة لذلك. وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ معناه مثل هذا التبيين الذي بينه لكم في مسألة الحنث في اليمين والكفارة له يبين لكم آياته المتضمنة لشرائعه وأعلام دينه ليعدكم بذلك لشكره بطاعته بفعل ما يأمركم به وترك ما ينهاكم عنه، فله الحمد والمنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة تحريم ما أباح الله، كحرمة تحليل ما حرم الله عز وجل.

٢- بيان مدى حرص الصحابة على طاعة الله خوفاً من عقابه وطمعاً في إنعامه.

٣- حرمة الغلو في الدين والتنطع فيه.

٤- بيان كفارة اليمين بالتفصيل.

---

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول إلّا أن يشاء الله أمّا من استثنى فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولابد للاستثناء من النطق يقول: إلّا أن يشاء الله ولا يتم إلّا بتحريك لسانه وشفتيه.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلى إخراج الكفارة إذا حنث وهذا حفظها من النسيان ظاهر.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حنث ويمينان لا كفارة فيهما فالأوّلان أن يقول: والله لأفعلن كذا ثمّ يحنث والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحنث، واللّذان لا كفارة فيهما: الأولى: لغو اليمين وهو أن يحلف على الشيء يظنه كذا **فيظهر** خلافه، والثانية: أن يجري على لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلى والله، والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمّداً الكذب وكفّارتها التوبة لا غير وإن كفّر مع التوبة فحسن.

٥- كراهة الإكثار من الحلف. وحرمة الحلف بغير الله تعالى مطلقاً.[١]

٦- استحباب حنث من حلف على ترك[٢] مندوب أو فعل مكروه، وتكفيره على ذلك أما إذا حلف أن يترك واجباً أو يأتي محرماً فإن حنثه واجب وعليه الكفارة.

٧- الأيمان ثلاثة[٣]: لغو: يمين لا كفارة لها إذ لا إثم فيها، الغموس[٤]: وهي أن يحلف متعمداً الكذب ولا كفارة لها إلا التوبة، اليمين المكفّرة: وهي التي يتعمد فيها المؤمن الحلف ويقصده ليفعل أو لا يفعل ثم يحنث فهذه التي ذكر تعالى كفارتها وبينها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

---

(١) لحديث الترمذي: «من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» وحديث الصحيح: «ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».

(٢) لقوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه».

(٣) هذا العدد مجمل وقد تقدم تفصيله وأنّ الأيمان خمسة.

(٤) أخرج البخاري «أن النبي ﷺ سأله اعرابي قائلا يارسول الله ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله قال ثمّ ماذا؟ قال: عقوق الوالدين. قال: ثمّ ماذا؟ قال اليمين الغموس. قلت وما اليمين الغموس؟ قال: التي يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها كاذب».

شرح الكلمات :

الخمر والميسر : الخمر[1]: كل مسكر كيفما كانت مادته وقلّت أو كثرت، والميسر: القمار.[2]

والأنصاب : الأنصاب: جمع نصب. ما ينصب للتقرب به إلى الله أو التبرك به، أو لتعظيمه كتماثيل الرؤساء والزعماء في العهد الحديث.

الأزلام : جمع زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل، والحساب بالمسبحة.

رجس : الرجس: المستقذر حساً كان أو معنى، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة.

من عمل الشيطان : أي مما يزيّنه للناس ويحببه إليهم ويرغبهم فيه ليضلهم.

فاجتنبوه : اتركوه جانباً فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم.

تفلحون : تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم.

ويصدكم : أي يصرفكم.

فهل أنتم منتهون : أي انتهوا فالإستفهام للأمر لا للإستخبار.

جناح فيما طعموا : أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك.

معنى الآيات :

لمّا نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ماأحل الله تعالى لهم بيَّنَ لَهُم ما حرَّمه عليهم ودعاهم إلى تركه واجتنابه لضرره بهم، وإفساده لقلوبهم وأرواحهم فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[3] أي يا من صدقتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً اعلموا ﴿إنما الخمر والميسر

---

(١) صحّ عن عمر رضي الله عنه أنّه خطب يوماً فقال: أيّها الناس ألا إنّه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة: من العنب والتمر، والعسل والحنطة والشعير» والخمر ما خامر العقل أي: ستره وغطّاه فأصبح المرء يهذي ويقول الخطأ والصواب.

(٢) ما دامت علّة التحريم في الخمر والميسر هي إثارة العداوة بين إخوة الإيمان، والصدّ وهو الإلهاء عن ذكر الله وعن الصلاة فإن كل ما ينشأ عنه إثارة العداوة والصدّ عن الذكر والصلاة فهو حرام.

(٣) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها ولكنها وقعت هنا في سورة المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي الناسخة لإباحة الخمر ويروى في سبب نزولها أن ملاحاة كانت بين سعد بن أبي وقاص ورجل من الأنصار سببها شرب خمر في ضيافة لهم.

والأنصاب[1] والأزلام رجس﴾ أي سخط وقذر مما يدعو إليه الشيطان ويزيّنه للنفوس ويحسنه لها لترغب فيه، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إثارة العداوة والبغضاء بين المسلمين الذين هم كالجسم الواحد. وإلى صدهم عن ذكر الله الذي هو عصمتهم وعن الصلاة التي هي معراجهم إلى الله ربهم، وآمرتهم بالمعروف وناهيتهم عن المنكر، ثم أمرهم بأبلغ أمر وأنفذه إلى قلوبهم لخطورة هذه المحرمات الأربع وعظيم أثرها في الفرد والمجتمع بالشر والفساد فقال: ﴿فهل أنتم منتهون[2]؟!﴾ وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله وحذرهم من مغبة المعصية وآثارها السيئة فقال ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ مغبة ذلك ثم أعلمهم أنّهم إن تولوا عن الحق بعدما عرفوه فالرسول لا يضيره توليهم، إذ ما عليه إلا البلاغ المبين وقد بلّغ وأما هم فإن جزاءهم على توليهم سيكون جزاء الكافرين وهو الخلود في العذاب المهين. هذا معنى قوله: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحذروا فإن توليتم فاعلموا[3] أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (٩٣) ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا[4] وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ فقد نزلت لقول بعض الأصحاب[5] لرسول الله ﷺ (يا رسول الله ما بال الذين ماتوا من إخواننا وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر؟) أي كيف حالهم فهل يؤاخذون أو يعفى عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأعلم أنهم ليس عليهم جناح أي إثم أو مؤاخذة فيما شربوا وأكلوا قبل نزول التحريم بشرط أن يكونوا قد اتقوا الله في محارمه وآمنوا به وبشرائعه، وعملوا الصالحات استجابة لأمره وتقرباً إليه. فكان رفع الحرج عليهم مقيداً بما ذكر. وقوله: ﴿ثم اتقوا...﴾ كما لا جناح[6] على الأحياء فيما طعموا وشربوا قبل التحريم

---

(١) ذكر الأنصاب والأزلام مع الخمر والميسر المقصود منه تأكيد التحريم وتقويته نظراً لما ألِفته النفوس منهما، والمراد من تحريم الأنصاب تحريم عبادتها وصنعها، وبيعها.

(٢) هذه الصيغة تستعمل للحث على الفعل إذا المأمور بدا عليه التراخي أو عدم الاهتمام مما أمر بفعله أو تركه. والفاء في ﴿فهل أنتم﴾ تفريع عن قوله: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم..﴾ الآية، والمأمور بالانتهاء عنه هو الخمر والميسر فلذا يقدّرعنهمابعد ﴿منتهون﴾.

(٣) ﴿فاعلموا﴾ جواب الشرط أي فإن توليتم عن طاعة الله والرسول فاعلموا أن توليكم لا يضر الرسول شيئا إنما على الرسول البلاغ وقد بلّغكم.

(٤) جملة: ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ تأكيد لفظي لجملة: ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾.

(٥) يروى أن القائل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو سؤال اشفاق ورحمة على من مات وهو يشرب هذا المحرم.

(٦) الجناح، الإثم المترتب عن الجنح الذي هو الميل إلى المعصية وعدم الطاعة.

وبشرط الإيمان، والعمل الصالح والتقوى لسائر المحارم، ودوام الإيمان والتقوى والإحسان في ذلك بالإخلاص فيه لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الخمر والقمار، وتعظيم الأنصاب والاستقسام بالأزلام.

٢- وجوب الانتهاء من تعاطي هذه المحرمات فوراً وقول انتهينا يا ربنا كما قال عمر رضي الله عنه.

٣- بيان علة تحريم شرب الخمر ولعب الميسر وهي إثارة العداوة والبغضاء بين الشاربين واللاعبين والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهما قوام حياة المسلم الروحية.

٤- وجوب طاعة الله والرسول والحذر من معصيتهما.

٥- وجوب التقوى حتى الموت ووجوب الإحسان في المعتقد والقول والعمل.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

ليبلونكم : ليختبرنكم .

الصيد[1] : ما يصاد.[2]

تناله أيديكم[3] : كبيض الطير وفراخه .

ورماحكم : جمع رمح ، وما ينال به هو الحيوان على اختلافه .

ليعلم الله من يخافه بالغيب : ليظهر الله تعالى بذلك الاختبار من يخافه بالغيب فلا يصيد .

فمن اعتدى (بعد التحريم) : بأن صاد بعد ما بلغه التحريم .

وأنتم حرم : جمع حرام والحرام : المُحرم لحج أو عمرة ويقال رجل حرام وامرأة حرام .

من النعم : النعم : الإبل والبقر والغنم .

ذوا عدل منكم : أي صاحبا عدالة من أهل العلم .

وبال أمره : ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام .

وللسيارة : المسافرين يتزوّدون به في سفرهم . وطعام البحر ما يقذف به إلى الساحل .

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين ليعلمهم مؤكدا خبره بأنه يبلوهم اختباراً لهم ليظهر[4] المطيع من العاصي فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ فحرم عليهم تعالى الصيد وهم حرم ثم ابتلاهم بوجوده بين أيديهم بحيث تناله أيديهم ورماحهم بكل يسر وسهولة على نحو ما ابتلى به بني إسرائيل في تحريم الصيد يوم السبت فكان السمك يأتيهم يوم سبتهم شُرّعاً ويوم لا يسبتون لا يأتيهم كذلك بلاهم ربهم بما كانوا يفسقون بيد أن المسلمين استجابوا لربهم

(١) أُذن للمحرم ولمن في الحرم في قتل ما يؤذي كالحية والعقرب، والغراب والفأرة وكل ما يؤذي كالأسد والنمر والذئب والفهد لقوله ﷺ : «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة».

(٢) الصيد مصدر صاد يصيد صيداً وأطلق المصدر على اسم المفعول: المصيد فقالوا: صيدٌ.

(٣) قوله: ﴿تناله أيديكم﴾ يريد صغار الصيد، وفراخه وبيضه. ﴿ورماحكم﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بآلة الصيد.

(٤) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو سبحانه وتعالى فعلمه بذلك أزلي سابق.

وامتثلوا أمره، على خلاف بني إسرائيل فإنهم عصوا وصادوا فمسخهم قردة خاسئين.

وقوله تعالى ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾، أي فمن صاد بعد هذا التحريم فله عذاب أليم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٤). أما الآية الثانية (٩٥) وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها[1] الذين آمنوا لا تقتلوا[2] الصيد وأنتم حرم﴾ فأكد لهم تحريم الصيد وبيّن لهم ما يترتب على ذلك من جزاء فقال ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ فالحكم الواجب على من قتله جزاءً ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ فالعدلان ينظران إلى الصيد وما يشبهه من النعم فالنعامة تشبه الجمل وبقرة الوحش تشبه البقرة، والغزال يشبه التيس وهكذا[3] فإن شاء من وجب عليه بعير أو بقرة أو تيس أن يسوقه إلى مكة الفقراء الحرم فليفعل وإن شاء اشترى بثمنه طعاماً وتصدق به، وإن شاء صام بدل كل نصف صاع يوماً لقوله تعالى: ﴿هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً﴾ وقوله تعالى: ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي ثقل جزاء مخالفته وقوله تعالى: ﴿عفا الله عما سلف﴾ أي ترك مؤاخذتكم على ما مضى، وأما مستقبلاً فإنه تعالى يقول ﴿ومن عاد فينتقم[4] الله منه والله عزيز ذوانتقام﴾ ومعناه أنه يعاقبه على معصيته ولا يحول دون مراده تعالى حائل ألا فاتقوه واحذروا الصيد وأنتم حرم، هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٩٦) فقد أخبر تعالى بعد أن حرم على المؤمنين الصيد وهم حرم وواجب الجزاء على من صاد. أخبر أنه امتناناً منه عليهم أحل لهم صيد البحر أي ما يصيدونه من البحر وهم حرم كما أحل لهم طعامه وهو ما يقذفه البحر من حيوانات[5] ميتة على ساحله ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ وهم المسافرون يتزودون به في سفرهم ويحرم عليهم صيد البر ما داموا حرماً، وأمرهم بتقواه أي بالخوف من عقوبته فيلزموا طاعته بفعل ما أوجب وترك ما حرم، وذكرهم بحشرهم جميعاً إليه يوم القيامة للحساب والجزاء فقال: ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾.

---

(١) روي أنّ أبا اليسر عمرو بن مالك الأنصاري قتل حمار وحش وهو محرم بعمرة عام الحديبية فنزلت هذه الآية.

(٢) القتل لغة: إفاتة الروح وهو أنواع منها النحر، والذبح، والخنق، والرضخ وشبهه.

(٣) قالت العلماء: ما يجزىء من الصيد شيئان دواب وطير فيجزىء ما كان من الدواب بنظيره في الخلقة والصورة ففي النعامة بدنه والطير: القيمة إلا الحمام ففيه شاة.

(٤) الجمهور أنّ مَنْ صاد ودفع الجزاء ثمّ صاد كلما صاد لزمه الفداء، وبعض أهل العلم يرى أنه لا يحكم عليه بشيء ويترك لله تعالى ويقال له: ينتقم الله منك.

(٥) مذهب مالك حلية ميتة البحر مطلقا لحديث: «هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته» وحديث العنبر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- ابتلاء الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية بكثرة الصيد بين أيديهم. وحرم عليهم صيده فامتثلوا أمر الله تعالى ولم يصيدوا فكانوا خيراً من بني إسرائيل وأفضل منهم على عهد انبيائهم.

٢- تحريم الصيد على المحرم إلا صيد البحر فإنه مباح له.

٣- بيان جزاء من صاد وهو محرم وانه جزاء مثل ما قتل من النعم.

٤- وجوب التحكيم فيما صاده المحرم، ولا يصح أن يكفر الصائد بنفسه.

٥- صيد الحرم حرام على الحرام من الناس والحلال.

۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

الكعبة : الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام.

قياماً للناس : يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتمار ودنياهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه.

الشهر الحرام : أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة رجب والقعدة والحجة ومحرم.

الهدي : ما يهدى إلى البيت من أنواع الهدايا.

والقلائد : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدى إلى الحرم.

البلاغ : بلاغ ما أمره بإبلاغه.

ما تبدون وما تكتمون : أي ما تظهرون وما تخفون.

الخبيث : مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات والمعقولات.

أولي الألباب : أصحاب العقول.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿جعل[1] الله الكعبة البيت الحرام قياماً[2] للناس﴾ المراد من الناس العرب في جاهليتهم قبل الإسلام ومعنى قياماً: أن مصالحهم قائمة على وجود البيت يحج ويعتمر يأمن الآتي إليه والداخل في حرمه، وكذا الشهر[3] الحرام وهي أربعة أشهر القعدة والحجة ومحرم ورجب[4]، وكذا الهدي وهو ما يهدى إلى الحرم من الأنعام، وكذا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلده الهدي إشعاراً بأنه مهدى إلى الحرم، وكذا ما يقلده الذاهب إلى الحرم نفسه من لِحَاءَ[5] شجر الحرم إعلاماً بأنه آت من الحرم أو ذاهب إليه فهذه الأربعة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد كانت تقوم مقام السلطان بين العرب فتحقق الأمن والرخاء في ديارهم وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش فهذا من تدبير الله تعالى لعباده وهو دال على علمه وقدرته وحكمته ورحمته ولذا قال تعالى: ﴿ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ أي حقق ذلك الأمن والرخاء في وقت لا دولة لكم فيه ولا نظام ليعلمكم أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات وشتى

(١) الله الذي أوجد الكعبة إذ أمر خليله ببنائها فبناها هذا الإيجاد الأخير أمّا الأوّل فكان على عهد آدم عليه السلام، وجعل هنا بمعنى صيرها كذلك أي قياما للناس الذين هم العرب.

(٢) قياماً وقيما وهما من ذوات الواو فقلبت الواو ياء لأن أصل الفعل قام يقوم قواماً وقياماً.

(٣) الشهر: اسم جنس ولذا أريد به هنا الأشهر الحرم الأربعة.

(٤) يقال له رجب الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقعة السلاح ويقال: رجب مضر لأن مضر كانت تعظّمه أكثر من غيره، والأصب حيث يصب فيه الخير صباً.

(٥) لِحاء ككِساء: قشر الشجر.

المخلوقات لا يخفى عليه من أمرها شيء، وأنه بكل شيء عليم فهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه فاعبدوه، وتوكلوا عليه واتركوا عبادة غيره والنظر إلى سواه، وإن لم تفعلوا فسوف يعاقبكم بذلك أشد العقوبة وأقساها فإنه عز وجل شديد العقاب فاعلموا ذلك واتقوه.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٩٧) والثانية (٩٨) أما الآية الثالثة (٩٩) فقد أكدت مضمون قوله تعالى في الآية الثانية ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ وهو وعيد شديد فقال تعالى ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾[1] وقد بلَّغ، فأنذر وأعذر، وبقي الأمر إليكم إن أنبتم إلى ربكم وأطعتموه فإنه يغفر لكم ويرحمكم لأنه غفور رحيم، وإن أعرضتم وعصيتم فإنه يعلم ذلك منكم ويؤاخذكم به ويعاقبكم عليه وهو شديد العقاب وقوله ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وعد ووعيد لأن علمه تعالى بالظواهر والبواطن يترتب عليه الجزاء فإن كان العمل خيراً كان الجزاء خيراً وإن كان العمل شراً كان الجزاء كذلك.

هذا مضمون الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٠) فإنه تعالى يقول لرسوله ﷺ قل للناس أيها الناس أنه ﴿لا يستوي الخبيث﴾[2] من المعتقدات والأقوال والأعمال والرجال والأموال،[3] ﴿والطيّب﴾ منها، ولو أعجبتكم[4] أي سرتكم كثرة الخبيث فإن العبرة ليست بالكثرة والقلة وإنما هي بالطيّب النافع غير الضار ولو كان قليلاً، وعليه ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي خافوه فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه رجاء حصول الفلاح لكم بالنجاة من المرهوب والحصول على المرغوب المحبوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان عظيم تدبير الله تعالى لخلقه، إذ أمَّن مصالح قريش والعرب فأوجد لهم أمناً

---

(١) أي ليس عليه هداية الناس ولا التوفيق ولا الثواب. وأصل البلاغ: البلوغ وهو الوصول، بلغ المكان يبلغه وصل إليه، وأبلغه الشيء أوصله إليه فعلى الرسول إبلاغ أمر الله ونهيه وأخباره إلى عباده بأسلوب بلاغي يصل به إلى نفوسهم في أطيب لفظ وأحسنه.

(٢) الخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا انفاقا ومكاناً ولا ذهاباً فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ ذات الشمال، والطيّب والطيّبون في الجنة، والخبيث والخبثاء في النار.

(٣) قالت العلماء: في قوله: ﴿لا يستوي الخبيث﴾ الآية دليل على أنّ البيع الفاسد يفسخ ويرد الثمن على المبتاع وشاهده من السنة قوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

(٤) الخطاب في قوله ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ الخطاب صالح لكل من هو أهل للخطاب والانتفاع به من عقلاء هذه الأمة ولذا قلت في التفسير ولو أعجبتكم ولم أقل: أعجبتك.

واستقراراً وتبع ذلك هناءة عيش وطيب حياة بها ألقى في قلوب عباده من احترام وتعظيم للبيت الحرام والشهر الحرام، والهدي والقلائد، الأمر الذى لا يقدر عليه إلا الله.

٢- بيان مسئولية الرسول أزاء الناس وأنها البلاغ لا غير وقد بلغ ﷺ.

٣- تقرير الحكمة القائلة العبرة بالكيف لا بالكم فمؤمن واحد أنفع من عشرة كفرة ودرهم حلال خير من عشرة حرام وركعتان متقبلتان خير من عشرة لا تقبل.

٤- الأمر بالتقوى رجاء فلاح المتقين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات:

إن تبد لكم : تظهر لكم تضركم.

---

(١) من الأحناف من يمنع الحبس، والوقف تعلّقا واستدلالا بهذه الآية وهو محجوج بإجماع الصحابة لحديث عمر في الصحيح إذ قال له الرسول ﷺ «احبس الأصل وسبّل الثمرة».

(٢) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها، والسائبة، بعير يسيب بنذر ينذره أحدهم للآلهة إن حصل له كذا سيّب كذا وتترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد.

عفا الله عنها	: سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤاخذكم بها.
سألها قوم	: طلبها غيركم من الأمم السابقة.
ما جعل الله	: أي ما شرع.
بحيرة ولا سائبة	: البحيرة: الناقة تبحر أذنها أي تشق، والسائبة: الناقة تسيّب.
ولا وصيلة ولا حام	: الوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثى، والحام: الجمل يحمى ظهره للآلهة.
ما أنزل الله	: من الحق والخير.
ما وجدنا عليه آباءنا	: من الباطل والضلال.

معنى الآيات:

لقد أكثر بعض الصحابة من سؤال رسول الله ﷺ حتى تضايق منهم فقام خطيباً فيهم وقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم».. فقام رجل يدعى عبدالله بن حذافة كان إذا تلامى مع رجل دعاه إلى غير أبيه فقال من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك حذافة، وقال أبوهريرة: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لا ولوقلت نعم، لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم» فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء[1] إن تبد لكم تسؤكم﴾ أي تظهر لكم جواباً لسؤالكم يحصل لكم بها ما يسؤكم ويضركم، ﴿وإن تسألوا[2] عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ أي يبينها رسولنا لكم. أما أن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك مالا ينبغي لكم لأنه من باب إحفاء رسول الله وأذيته ثم قال تعالى لهم: ﴿عفا الله عنها﴾ أي لم يؤاخذكم بما سألتم ﴿والله غفور حليم﴾، فتوبوا إليه يتب[3] عليكم واستغفروه يغفر لكم ويرحمكم فإنه غفور رحيم. وقوله تعالى: ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ أي قد سأل أسئلتكم التنطعية

---

(١) ممنوع من الصرف لأنّه مشبه بحمراء. في الآية دليل على كراهة السؤال لغير حاجة وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

(٢) إن قيل: ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: «وإن تسألوا عنها..» الخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف كما قدّمناه فتأمله.

(٣) بعد انقطاع الوحي أمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعنت مكروه دائما وفي الحديث الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

المحرجة هذه قوم من قبلكم ﴿فأصبحوا بها كافرين﴾[1]، لأنهم كلفوا ما لم يطيقوا وشق عليهم جزاء تعنتهم في أسئلتهم لأنبيائهم فتركوا العمل بها فكفروا. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٠١) والثانية (١٠٢) وأما الثالثة (١٠٣) فقد قال تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ ومن الجائز أن يكون هناك من يسأل الرسول عن البحيرة وما بعدها فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حَمَىَ حَامِياً، ولكن الذين كفروا هم الذين فعلوا ذلك افتراء على الله وكذباً عليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾، ولو عقلوا ما افتروا على الله وابتدعوا وشرعوا من أنفسهم ونسبوا ذلك إلى الله تعالى، وأول من سيب السوائب وغير دين اسماعيل عليه السلام عمرو بن لحي الذي رآه رسول الله ﷺ يجرُ قُصْبه في النار أي أمعاءه في جهنم. هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الرابعة (١٠٤) فقد أخبر تعالى أن المشركين المفترين على الله الكذب بما ابتدعوه من الشرك إذ قيل لهم ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ ليبين لكم كذبكم وباطلكم في بحر البحائر وتسييب السوائب، يرفضون الرجوع إلى الحق ويقولون: ﴿حسبنا﴾ أي يكفينا ﴿ما وجدنا عليه آباؤنا﴾ فلسنا في حاجة إلى غيره فرد تعالى عليهم منكراً عليهم قولهم الفاسد ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ أي يتبعونهم ويحتجون بباطلهم ولو كان أولئك الآباء جهالاً حمقاً لا يعقلون شيئاً من الحق، ﴿ولا يهتدون﴾ إلى خير أو معروف.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- كراهية الإلحاف في السؤال والتقعر في الأسئلة والتنطع فيها.

٢- حرمة الابتداع في الدين وأنه سبب وجود الشرك في الناس.

٣- وجوب رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة والرضا بحكمهما.

٤- حرمة تقليد الجهال واتباعهم في أباطيلهم.

---

(١) من أمثلة ذلك: سؤال قوم صالح الناقة، وقوم عيسى المائدة، وفي الآية تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم فيهلكوا كما هلكوا. وفي صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ: «إنّ أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرّم عن المسلمين فحرم من أجل مسألته».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

شرح الكلمات :

آمنـــوا	: صدقوا الله ورسوله واستجابوا لهما بفعل المأمور وترك المنهي .
عليكم أنفسـكم[١]	: ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها .
إذا اهتديتم	: إلى معرفة الحق ولزوم طريقه .
إلى الله مرجعكم جميعاً	: ضـلالاً ومهتدين .
فينبئكـم	: يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها .

معنى الآية الكريمة :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين فيقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده ﴿عليكم أنفسكم﴾[٢] ألزموها الهداية والطهارة بالإيمان والعمل الصالح وإبعادها عن الشرك والمعاصي ، ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ : أي أن ضلال غيركم غير ضار بكم إن كنتم مهتدين إذ لا تزر وازرة وزر أخرى ، كل نفس تجزى بما كسبت لا بما كسب غيرهـا ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها إلا أن من الاهتداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ترك المؤمنون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعتبرون مهتدين إذ بالسكوت عن المنكر يكثر وينتشر ويؤدّي حتماً إلى أن يضلّ المؤمنون فيفقدون هدايتهم ولذا قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه خطيباً يوماً فقال : (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿يا أيها الذين[٣] آمنوا عليكم أنفسكم[٤] . الخ﴾ وإنكم تضعونها[٥] على غير

(١) وإن قيل في معنى احفظوا أنفسكم من الوقوع في المعاصي لكان وجيها لأنّ عليكم اسم فعل بمعنى احفظ كذا .
(٢) في الآية التحذير مما وقع فيه من تقدم ذكرهم من التقليد الأعمى والابتداع المضر المهلك وهو وجه المناسبة بين هذه الآية وما سبقها من الآيات .
(٣) قيل هذه الآية هي الوحيدة التي جمعت بين الناسخ والمنسوخ ، فالناسخ فيها قوله : ﴿إذا اهتديتم﴾ والمنسوخ هو ﴿عليكم أنفسكم﴾ إذ من اهتدى لا يضره من ضل ولا تتم الهداية إلا بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
(٤) أنفسكم منصوب على الإغراء الدال عليه اسم الفعل عليكم .
(٥) ورد بدل تضعونها . . . إلخ : وتتأوّلونها على غير تأويلها .

موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب» وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيه وعد ووعيد، وعد لمن أطاع الله ورسوله، ووعيد لمن عصاهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب إصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

٢ـ ضلال الناس لا يضر المؤمن إذا أمرهم بالمعروف[1] ونهاهم عن المنكر.

٣ـ تقرير مبدأ البعث الآخر.

٤ـ للعمل أكبر الأثر في سعادة الإنسان أو شقائه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ

(١) قالت العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعيّن متى رُجي القبول والتغيير فإن كان هناك عدم رجاء فلا يجب الأمر والنهي. وكذا يسقط إذا خاف ضررا يلحقه لا يقوى عليه أو يلحق غيره من المسلمين.

أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ[1] ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمات :

شهادة بينكم : الشهادة: قول صادر عن علم حاصل بالبصر أو البصيرة، وبينكم: أي شهادة بعضكم على بعض.

إن أنتم ضربتم في الأرض : أي بأن كنتم مسافرين.

من بعد الصلاة : صلاة العصر.

إن ارتبتم : شككتم في سلامة قولهما وعدالته.

فإن عثر : أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه.

أدنى : أقرب.

على وجهها[2] : أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة.

الفاسقين : الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم إلى ما يكملهم ويسعدهم ففي هذه الآيات الثلاث (١٠٦)، (١٠٧)، (١٠٨) ينادي الله تعالى عباده المؤمنين فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذ حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ أي ليشهد اثنان ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي من المسلمين على وصية أحدكم إذا حضرته الوفاة، أو ليشهد اثنان من غيركم أي من غير المسلمين ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ أي كنتم مسافرين ولم يوجد مع من حضره الموت في السفر إلا كافر، فإن ارتبتم في صدق خبرهما وصحة

---

(١) هذه الآية نزلت فيما ذهب إليه أكثر المفسرين: في تميم الداري وعدي بن بداء إذ روى البخاري وغيره أن تميم الداري وابن بداء كانا يختلفان إلى مكة فخرج معهما: فتى من بني سهم فتوفي بأرض ليس فيها مسلم فأوحى إليهما فدفعا تركته إلى أهله وحبسا جاماً (إناء) من فضة مخوصاً بالذهب فاستحلفهما رسول الله ﷺ «ما كتمتما ولا أطلعتما» ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فجاء رجلان من ورثة السهمي فحلفا أنَّ هذا الحام للسهمي ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا قال: فأخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الآية

«لفظ الدارقطني» والظاهر أن استحلاف الرسول ﷺ لهما: كان بعد نزول الآية مبيِّنة طريق الحكم في هذه القضية فاتبعها الرسول ﷺ وحكم بينهم بما في الآية نصًّا وروحاً والله أعلم.

(٢) أي غير مشوّه بالتغيير والتبديل والنقص والزيادة، والتعبير بالوجه شائع يقال: جاء بالشيء الفلاني على وجهه أي: من كمال أحواله.

شهادتهما فاحبسوهما أي أوقفوهما بعد صلاة العصر في المسجد ليحلفا لكم فيقسمان بالله فيقولان والله لا نشتري بأيماننا ثمناً قليلاً ، ولو كان المقسم عليه أوالمشهود عليه ذا قربى أي قرابة ، ﴿ولا نكتم شهادة الله ، إنا إذاً﴾ أي إذا كتمنا شهادة الله ﴿لمن الآثمين﴾ ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثماً﴾ أي وإن وجد أن الذين حضرا الوصية وحلفا على صدقهما فيما وصاهما به من حضره الموت إن وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه ، ﴿فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان﴾[1] فيقسمان بالله قائلين والله : لشهادتنا أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما ، ﴿وما اعتدينا﴾ أي عليهما باتهام باطل ، إذ لو فعلنا ذلك لكنا من الظالمين ، فإذا حلفا هذه اليمين استحقا ما حلفا عليه ورد إلى ورثة الميت ما كان قد أخفاه وجحده شاهداالوصية عند الموت ، قال تعالى : ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ أي أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة عادلة لا حيف فيها ولا جور وقوله ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ ، أي وأقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم فلا يكذبوا خوف الفضيحة ، وقوله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه أيها المؤمنون فلا تخرجوا عن طاعته ، ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به واستجيبوا لله فيه ، فإن الله لا يهدي إلى سبيل الخير والكمال الفاسقين الخارجين عن طاعته ، فاحذروا الفسق واجتنبوه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الوصية في الحضر والسفر معاً ، والحث عليها والترغيب فيها .

٢ ـ وجوب الإشهاد على الوصية .

٣ ـ يجوز شهادة غير المسلم[2] على الوصية إذا تعذر وجود مسلم[3] .

٤ ـ استحباب الحلف بعد صلاة العصر تغليظاً في شأن اليمين .

---

(١) واحد الأوليان : الأولى بمعنى الأجدر والأحق ، وعرفا باللاّم العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهنا ، والأوليان : الأحقّان بالشهادة لقرابتهما من الميت ، قال أهل العلم إنّ هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابا ونظما وحكما .

(٢) هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمة الله تعالى وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه ، وأما التخوف من قوله تعالى : ﴿وأشهدواذوي عدل منكم﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم ، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أوشك في عدالته لاسيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس . ولهذا ذهبت في تفسير الآية على أنّها محكمة والعمل بها جائز .

(٣) وممن قال بعدم نسخ هذه الآية وأنها محكمة والعمل بها من الصحابة : أبو موسى الأشعري وقضى بها ، وعبدالله بن قيس ، وعبدالله بن عباس ، ومن التابعين سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي وغيرهم ، ومن الأئمة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحم الله الجميع .

٥ـ مشروعية تحليف الشهود إذا ارتاب القاضي فيهم أو شك في صدقهم.

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

يوم يجمع الله الرسل[١] : أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة.

الغيوب : جمع غيب: وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس.

أيدتك : قويتك ونصرتك.

بروح القدس : جبريل عليه السلام.

المهد : سرير الطفل الرضيع.

---

(١) وجه اتصال هذه الآية بسابقتها ظاهر، إذ أمرهم تعالى في الآية الأولى بالتقوى والسمع والطاعة لأوامره ونواهيه، وذكّرهم في هذه الآية بأهوال يوم القيامة ليكون ذلك حافزاً لهم على التقوى مقوّياً لهم على السمع والطاعة.

الكهـــل	: من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة .
الكتـــاب	: الخـط والكتابة .
والحكمـــة	: فهم أسـرار الشرع ، والإصابة في الأمور كلها .
تخلق كهيئة الطير	: أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير.
الأكـمه والأبرص	: الأكمه : من ولد أعمى ، والأبرص : من به مرض البرص .
تخرج الموتى	: أي أحياء من قبورهم .
كـفـفت	: أي منـعت .
الحواريـون	: جمع حواري : وهو صادق الحب في السر والعلن .

معنى الآيـات :

يحذر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين من أهوال البعث الآخر يوم يجمع[1] الرسل عليهم السلام ويسألهم وهو أعلم بهم : ﴿فيقول : ماذا أجبتم؟﴾ أطاعتكم أممكم أم عصتكم؟ فيرتج عليهم ويذهلون ويفوضون الأمر إليه تعالى ويقولون : ﴿لا علم لنا[2] : انك أنت علام الغيوب﴾ ، إذا كان هذا حال الرسل فكيف بمن دونهم من الناس ويخص عيسى عليه السلام من بين الرسل بالكلام في هذا الموقف العظيم ، لأن أمتين كبيرتين غوت فيه وضلت اليهود ادعوا أنه ساحر وابن زنى ، والنصارى ادعوا أنه الله وابن الله ، فخاطبه الله تعالى وهم يسمعـون : ﴿يا عيسى بن مريم اذكـر نعمتي عليك وعـلى والدتك﴾ فأنت عبدي ورسولي وأمك أمتي ، وذكر له أنواع نعمه عليه فقال : ﴿إذ أيدتك[3] بروح القدس﴾ ، جبريل عليه السلام ﴿تكلم الناس في المهد﴾ وأنت طفل . إذ قال وهو في مهده ﴿إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقوله ﴿و كهلاً﴾ أي وتكلمهم وأنت كهل أيضاً وفيه بشرى لمريم أن ولدها يكبر ولا يموت صغيراً وقد كلم الناس وهو شاب وسيعود إلى الأرض ويكلم الناس وهو كهل ويعدد نعمه عليه

---

(١) ﴿يومَ﴾ منصوب على الظرفية معمول لـ اسمعوا لفعل محذوف يقدّر بـ اذكروا ، أو اسمعوا ، أو احذروا .

(٢) أي : لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا ، ويشهد له حديث الصحيح : «يرد عليّ أقوام الحوض فيختلجون فأقول : أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» .

(٣) أي : قويتك مأخوذ من الأيد الذي هو القوة ومنه قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ .

فيقول: ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة﴾، فكنت تكتب الخط وتقول وتعمل بالحكمة، وعلمتك التوراة كتاب موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه إليه ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ فيكون طيراً بإذني أي اذكر لما طالبك بنو إسرائيل بآية على نبوتك فقالوا لك اخلق لنا طيراً فأخذت طيناً وجعلته على صورة طائر وذلك بإذني لك ونفخت فيه بإذني فكان طائراً، واذكر أيضاً ﴿إذ تبرىء الأكمة﴾ وهو الأعمى الذي لا عينين له، ﴿والأبرص بإذني﴾ أي بعوني لك وإقداري لك على ذلك ﴿وإذ تخرج الموتى﴾ من قبورهم أحياء فقد أحيا عليه السلام عدداً من الأموات بإذن الله تعالى ثم قال بنو إسرائيل أحيي لنا سام بن نوح فوقف على قبره وناداه فقام حياً من قبره وهم ينظرون، واذكر ﴿إذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات[1]﴾ فكذبوك وهموا بقتلك وصلبك، ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾. واذكر ﴿إذ أوحيت[2] إلى الحواريين﴾ على لسانك ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ أي بك يا عيسى ﴿قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ أي منقادون مطيعون لما تأمرنا به من طاعة ربنا وطاعتك.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ شدة هول يوم القيامة وصعوبة الموقف حتى إن الرسل ليذهلون.

٢ـ وجوب الاستعداد لذلك اليوم بتقوى الله تعالى.

٣ـ توبيخ اليهود والنصارى بتفريط اليهود في عيسى وغلو النصارى فيه.

٤ـ بيان إكرام الله تعالى لعيسى وما حباه به من الفضل والإنعام.

٥ـ ثبوت معجزات عيسى عليه السلام وتقريرها.

إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم

(١) أي: الدلالات والمعجزات وهي المذكورة في هذه الآيات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.
(٢) الوحي يكون بمعنى الإلهام لغير الرسول أمّا الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورى.

مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

شرح الكلمات :

هل يستطيع : هل يطيع ويرضى .

مائدة من السماء : المائدة : الخوان وما يوضع عليه أوالطعام والمراد بها هنا الطعام .

وتطمئن قلوبنا : أي تسكن بزيادة اليقين فيها .

ونكون عليها من الشاهدين : أي نشهد أنها نزلت من السماء .

عيداً : أي يوماً يعود علينا كل عام نذكر الله تعالى فيه ونشكره .

وآية منك : علامة منك على قدرتك ورحمتك ، ونبوة نبيك .

فمن يكفر بعد منكم : فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون للمائدة .

أحداً من العالمين : أي من الناس أجمعين .

معنى الآيات :

يقول تعالى لعبده ورسوله عيسى واذكر ﴿إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾، ﴿إذ قال الحواريون﴾ : ﴿هل يستطيع[1] ربك أن ينزل

---

(١) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة : (هل يستطيع ربك . .) كيف يقول هذا أنصار الله الحواريون وهو دالّ دلالة واضحة على جهل بالله تعالى وعدم معرفة الأدب مع نبيّه عيسى عليه السلام ، فمن قائل : أنّ يستطيع بمعنى : يطيع أي : هل يطيعك ربّك في هذا؟ ومن قائل : إن قراءة (هل يستطيع) بالتاء ، وربك معمول أي : هل تقدر على سؤال ربّك أن ◄

علينا مائدة من السماء؟﴾ ولما كان قولهم هذا دالاً على شك في نفوسهم وعدم يقين في قدرة ربهم قال لهم عيسى عليه السلام ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فلا تقولوا مثل هذا القول. فاعتـذروا عن قيلهم الباطل ﴿وقالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من السماء بسؤالك ربك ذلك وهنا قال عيسى عليه السلام داعياً ربه ضارعاً إليه ﴿اللهم﴾ أي يا الله ﴿ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، تكون لنا عيداً لأولنا﴾ أي للموجودين الآن منا ﴿وآخرنا﴾ أي ولمن يأتون بعدنا، ﴿وآية منك﴾، أي وتكون آية منك أي علامة على وحدانيتك وعظيم قدرتك، وعلى صدقي في إرسالك لي رسولاً إلى بني إسرائيل، ﴿وارزقنا﴾ وأدم علينا رزقك وفضلك ﴿وأنت خير الرازقين﴾، فأجابه تعالى قائلا: ﴿إني منزلها عليكم﴾، وحقاً قد أنزلها[1]، ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ يا بني إسرائيل السائلين المائدة بأن ينكر توحيدي أو رسالة رسولي، أو عظيم قدرتي ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾، ولذا مسخ من كفروا منهم قردة وخنازير.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ جفاء اليهود وغطرستهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم إذ قالوا لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ وقالوا لعيسى ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.

٢ـ في قول عيسى لهم ﴿اتقوا الله﴾ دال على أنهم قالوا الباطل كما أن قولهم: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ دال على شكهم وارتيابهم.

٣ـ مشروعية الأعياد الدينية لعبادة الله بالصلاة والذكر شكراً لله تعالى وفي الإسلام عيدان: الأضحى والفطر.

٤ـ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة آل فرعون والمنافقون ومن كفر من أهل المائدة.

=ينزل الخ ومن قائل إنّ هذا كان منهم في أوّل أمرهم قبل أن يتعلموا، ومن قائل: أنّ هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين، وما ذكرته في التفسير أولى لانسجامه مع السياق إذ قول عيسى لهم: اتقوا الله، وقولهم: ونعلم أن قد صدقتنا دال على جهلهم بالله ومقام عيسى عليه السلام، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط وكالذين قالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والله أعلم.

(١) روى الترمذي عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً».

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

شرح الكلمات :

إلهين : معبودين يعبدان من دوني.

سبحانك : تنزيهاً لك وتقديساً.

ما يكون لي : ما ينبغي لي ولا يتأتى لي ذلك.

شهيداً : رقيباً.

الرقيب : الحفيظ.

إن تعذبهم : أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء.

وإن تغفر لهم : أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك.

العزيز الحكيم : العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده، الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة.

الصــادقين : جمع صادق: وهو من صدق ربه في عبادته وحده.

ورضـوا عنه : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

على كل شيء قدير : أي على فعل أي شيء تعلقت به إرادته وأراد فعله فإنه يفعله ولا يعجزه بحال من الأحـوال.

معنى الآيـات:

يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر لقومك ﴿إذ قال الله﴾[1] تعالى يوم يجمع الرسل ويسألهم ماذا أجبتم، ويسأل عيسى بمفرده توبيخاً للنصارى على شركهم ﴿يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين﴾ أي معبودين يقرره بذلك فينفي عيسى ذلك على الفـور ويقـول منزهاً ربه تعالى مقدساً ﴿سبحانك[2] ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾، ويؤكد تفصيه مما وجه إليه توبيخاً لقومه: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ يا ربي، إنك ﴿تعلم ما في نفسي﴾ فكيف بقولي وعملي، وأنا ﴿لا أعلم ما في نفسك﴾ إلا أن تعلمني شيئـاً، لأنـك ﴿أنت علام الغيوب﴾ ما ﴿قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ أن أقوله لهم وهو ﴿اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً[3]﴾ أي رقيباً ﴿فلما توفيتني﴾ برفعي إليك ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ ترقب أعمالهم وتحفظها لهم لتجزيهم بها. ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾ رقيب وحفيظ. ﴿إن تعذبهم﴾ أي من مات منهم على الشرك بأن تصليه نارك فأنت على ذلك قدير، ﴿وإن تغفر لهم﴾ أي لمن مات على التوحيد فتدخله جنتك فإنه لذلك أهل فإنك أنت العزيز الغالب على أمره الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا ينعم من أشرك به ولا يعذب من أطاعه ووحده. فأجابه الرب تبارك وتعالى قائلا: ﴿هذا يوم[4] ينفع الصادقين صدقهم﴾: صدقوا الله تعالى في إيمانهم به فعبدوه وحده لا شريك له ولم يشركوا

---

(١) هذا مثل أتى أمر الله أتى بصيغة الماضي لتحقق الوقوع وكذلك هناك (إذ قال) فهو بمعنى يقول: اذكر إذ يقول الله يا عيسى.. الخ.

(٢) أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: «تلقى عيسى حجته ولقّاه الله في قوله: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميّ إلهين من دون الله﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلقاه الله: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ﴾ الآية.

(٣) شهيداً: أي رقيباً أراعي أحوالهم وأدعوهم إلى العمل بطاعتك وأنهاهم عن مخالفتك.

(٤) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين...» الخ كلام مستأنف ختم به الحديث عما يقع يوم يجمع الله الرسل فذكر ثواب الصادقين وهو الجنة ورضوان الله وهو الفوز العظيم.

سواه. ونفعه لهم أن أُدْخِلُوا به جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً، مع رضى الله تعالى عنهم ورضاهم عنه بما أنعم به عليهم من نعيم لا يفنى ولا يبيد، ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ إنّه النّجاة من النار ودخول الجنات. وفي الآية الأخيرة (١٢٠) يخبر تعالى أن له ﴿ملك[1] السموات والأرض ومافيهن﴾ من سائر المخلوقات والكائنات خلقاً وملكاً وتصرفاً يفعل فيها ما يشاء فيرحم ويعذب ﴿وهو على كل شيء قدير[2]﴾ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- توبيخ النصارى في عرصات القيامة على تأليه عيسى ووالدته عليهما السلام.

٢- براءة عيسى عليه السلام مِنْ مشركي النصارى وأهل الكتاب.

٣- تعذيب المشركين وتنعيم الموحدين قائم على مبدأ الحكمة الإلهية.

٤- فضيلة الصدق وأنه نافع في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «عليكم بالصدق[3] فإنه يدعو إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً».

٥- سؤال غير الله شيئاً ضرب من الباطل والشرك، لأن غير الله لا يملك شيئاً، ومن لا يملك كيف يعطي ومن أين يعطي؟

---

(١) في هذه الآية البرهنة الصحيحة على ألوهية الله تعالى وربوبيته للعالمين وإبطال دعوى النصارى في تأليه عيسى وأمّه عليهما السلام.

(٢) فما تعلقت إرادته بشيء فأراده إلاّ كان كما أراد من سائر الممكنات.

(٣) أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن.

سُورَةُ الأَنْعَامِ[1]

مكيـــة

وآياتهـا خمس وستون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

شـرح الكلمـات :

الحمـد[2] : الثناء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال .

خلــق : أنشـأ وأوجـد .

يعدلــون : يسـوون به غيره فيعبدونه معه .

الأجــل : الـوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه ، والأجل الأول أجل كل إنسـان ، والثاني أجل الدنيا .

تمتــرون : تشكّـون في البعث الآخـر والجـزاء : كما تشكون في وجوب توحيده بعبادته وحده دون غيره .

وهو الله فى السموات : أي معبـود في السموات وفي الأرض .

---

(١) روى الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيّعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد ، وسميت بالأنعام لذكر لفظ الأنعام فيها ست مرّات نزلت بمكة ليلاً» .

(٢) الحمد لله : تفيد استغراق المحامد لله تعالى إذ ال للاستغراق واللّام للاستحقاق فجميع المحامد مستحقة لله تعالى ، والقصر في الحمد لله قصر إضافي دال على إبطال حمد المشركين لآلهتهم الباطلة .

ما تكسبون : أي من خير وشر، وصلاح فساد.

معنى الآيات :

يخبر تعالى بأنه المستحق للحمد كله وهو الوصف بالجلال والجمال والثناء بهما عليه وضمن ذلك يأمر عباده أن يحمدوه كأنما قال قولوا الحمد لله، ثم ذكر تعالى موجبات حمده دون غيره فقال: ﴿الذي خلق السموات[1] والأرض[2] وجعل الظلمات والنور﴾، فالذي أوجد السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات وجعل الظلمات[3] والنور وهما من أقوى عناصر الحياة هو المستحق للحمد والثناء لا غيره ومع هذا فالذين كفروا من الناس يعدلون به أصناماً وأوثاناً ومخلوقات فيعبدونها معه يا للعجب!!

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١) أما الآية الثانية (٢) فإنه تعالى يخاطب المشركين موبخاً لهم على جهلهم منددا بباطلهم فيقول: ﴿هو الذي خلقكم من طين[4]﴾ لأن آدم أباهم خلقه من طين ثم تناسلوا منه فباعتبار أصلهم هم مخلوقون من طين ثم الغذاء الذي هو عنصر حياتهم من طين، ثم قضى لكل أجلاً وهو عمره المحدد له وقضى أجل الحياة كلها الذي تنتهي فيه وهو مسمى عنده معروف له لا يعرفه غيره ولا يطلع عليه سواه ولحكم عالية أخفاه، ثم أنتم أيها المشركون الجهلة تشكّون في وجوب توحيده، وقدرته على إحيائكم بعد موتكم[5] لحسابكم ومجازاتكم على كسبكم خيره وشره، حسنه وسيئه، وفي الآية الثالثة (٣) يخبر تعالى أنه هو الله المعبود بحق في السموات[6] وفي الأرض لا إله غيره ولا رب سواه ﴿يعلم

---

(١) ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ هاتان الجملتان هما مقتضيات الحمد لله وموجباته له تعالى، إذ مَنْ أوجد الكون كلّه وهو جواهر وأعراض، فالجواهر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، والأعراض الظلمة والنور هو المستحق للعبادة دون غيره فأبطل بهذا عبادة الأجسام كالأصنام والملائكة والأنبياء، وعبادة الأعراض كالظلمة والنور إلهَا المانوية.

(٢) الأرض: اسم جنس، فالمراد بالأرض: الأرضون السبع كالنور اسم جنس والمراد به كل نور.

(٣) من رشاقة الكلم جعل خلق للأجسام وجعل للأعراض في قوله: ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾.

(٤) قال القرطبي هل في هذه الآية دليل على أنّ الجواهر من جنس واحد؟ الجواب: نعم لأنّه إذا جاز أن ينقلب الطين إنسانا حياً قادرا عليما جاز أن ينقلب إلى كل حال من أحوال الجواهر إذ صح انقلاب الجماد إلى حيوان بدلالة هذه الآية.

(٥) ذكره تعالى أصل خلق الناس من طين فيه إشارة إلى الردّ على منكري البعث المحتجين على عدم إمكان الحياة الآخرة بكونهم بعد الموت يصيرون ترابا، وجهلوا أنّ صيرورتهم إلى تراب هو دليل إعادتهم إلى خلقهم من جديد إذ عادوا إلى أصل خلقهم ليعودوا إلى حياة أكمل من حياتهم الأولى.

(٦) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ أي: وهو الله المعظّم والمعبود في السموات وفي الأرض كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب أي حكمه.

سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ من خير وشر فهو تعالى فوق عرشه بائن من خلقه ويعلم سر عباده وجهرهم ويعلم أعمالهم وما يكتسبون بجوارحهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا وجبت الرغبة فيما عنده من خير، والرهبة مما لديه من عذاب، ويحصل ذلك لهم بالإنابة إليه وعبادته والتوكل عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله.

٢ـ لا يصح حمد أحد بدون ما يوجد لديه من صفات الكمال ما يحمد عليه.

٣ـ التعجب من حال من يسوون المخلوقات بالخالق عز وجل في العبادة.

٤ـ التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة.

٥ـ صفة العلم لله تعالى وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

شـرح الكلمـات :

مـن آيـة	: المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة .
معـــرضين	: غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها .
الحـــق	: الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق .
أنبـــاء	: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
مـن قـرن	: أي أهل قرن من الأمم السابقة ، والقرن مائة سنة .
مكنا لهم في الأرض	: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين .
مـدراراً	: مطـراً متواصـلاً غـزيراً .
بذنوبهـم	: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسله .
وأنشـأنا	: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين .

معـنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أولئك الذين يعدلون بربهم غيره من مخلوقاته فيقول تعالى عنهم : ومـا تأتيهم من آية[1] من آيات ربهم[2] التي يوحيها إلى رسوله ويضمها كتابه القرآن الكريم ، إلا قابلوها بالإعراض التام ، وعدم الالتفات إلى ما تحمله من هدى ونور ، وسبب ذلك أنهم قد كذبوا بالحق لما جاءهم وهو الرسول وما معه من الهدى ، وبناء على ذلك ﴿فسوف يأتيهم أنبـاء ما كانوا به يستهزئون﴾ وقد استهزأوا بالوعيد وسينزل بهم العذاب الذي كذبوا به واستهزأوا ، وأول عذاب نزل بهم هزيمتهم يوم بدر، ثم القحط سبع سنين ، ومن مات منهم على الشرك فسوف يعذب في نار جهنم أبداً ، ويقال لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تستهزئون وقوله تعالى : ﴿ألم يروا كـم أهلكنا من[3] قبلهم من قرن﴾ أي كثيراً من أهل القرون

---

(١) ﴿من اية من ايات ربهم﴾ من الأولى لاستغراق الجنس ، ومن الثانية للتبعيض .

(٢) وجائز أن يراد بالآية أيضاً المعجزة كانشقاق القمر ونحوها .

(٣) القرن : الأمّة من الناس ، والجمع : قرون قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم   وخُلِّفْتَ في قرن فأنت غريب .

فالقرن : كل عالم في عصره مأخوذ من الإقتران أي عالم مقترن بعضهم ببعض وفي الحديث : «خير الناس قرني . . » ويطلق القرن على المائة سنة ، إذ قال النبي ﷺ لعبدالله بن بشر «تعيش قرناً» فعاش مائة سنة وقرن الشاة معروف .

الماضية مكن الله تعالى لهم في الأرض من الدولة والسلطان والمال والرجال ما لم يمكن لهؤلاء المشركين من كفار قريش، وأرسل على أولئك الذين مكن لهم السماء[1] مدراراً[2] بغزير المطر وجعل لهم في أرضهم الأنهار تجري من تحت أشجارهم وقصورهم، فلما أنكروا توحيدي وكذبوا رسولي، وعصوا أمري ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾، لا ظلماًمنا ولكن بظلمهم هم لأنفسهم ،وأوجدنا بعدهم قوماً آخرين، وكان ذلك علينا يسيراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- التكذيب بالحق هو سبب الإعراض عنه فلو آمنوا به لأقبلوا عليه.

٢- الاستهزاء والسخرية بالدين من موجبات العذاب وقرب وقوعه.

٣- العبرة بهلاك الماضين، ومصارع الظالمين.

٤- هلاك الأمم كان بسبب ذنوبهم، فما من مصيبة إلا بذنب[3].

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

---

(١) ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ عبر عن المطر بالسماء لأنه منها ينزل قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناها وإن كانوا غضابا

(٢) مدراراً: بناء دال على الكثرة نحو امرأة مذكار إذا كثر أولادها الذكور وهو مشتق من درّت الشاة تدر إذا أقبل لبنها على الحالب لها بكثرة.

(٣) شاهده من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

شرح الكلمات :

قرطاساً : القرطاس : ما يكتب عليه جلداً أو كاغداً .

لمسوه بأيديهم : مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه .

ملك : الملك أحد الملائكة .

لقضي الأمر : أي أهلكوا وانتهت حياتهم .

لا ينظرون : لا يمهلون .

ولو جعلناه ملكاً : ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً لإنكارهم البشر .

لبسنا : خلطنا عليهم .

استهزىء : سخر وتهكم واستخف .

حاق بهم : نزل بهم العذاب وأحاط بهم فأهلكوا .

معنى الآيات

مازال السياق في شأن العادلين بربهم أصنامهم التي يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عندالله يقول تعالى : ﴿ولو نزلنا عليك﴾ ايها الرسول ﴿كتاباً﴾ أي مكتوباً في ورق جلد أو كاغد ورأوه منزلاً من السماء[1] ولمسوه بأيديهم وحسوه بأصابعهم ما آمنوا ولقالوا : ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ . أي سحر واضح سحركم به محمد ﷺ وإلا كيف ينزل الكتاب من السماء ، ﴿وقالوا : لولا أنزل عليه ملك[2]﴾ أي هلا أنزل عليه ، لم لا ينزل عليه ملك يساعده ويصدقه بأنه نبي الله ورسوله ، فقال تعالى : ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ ، وليس من شأن الله أن ينزل الملائكة ولو أنزل ملكاً فكذبوه لأهلكهم ، إذ الملائكة لا تنزل إلا لإحقاق الحق وعليه فلو نزل ملك لقضي أمرهم بإهلاكهم وقطع دابرهم وهذا ما لا يريده الله تعالى لهم . وقوله : ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يمهلون ولو ساعة ليتوبوا أو يعتذروا مثلا . وقوله تعالى : ﴿ولو

---

(١) قال ابن عباس : كتاباً معلقاً بين السماء والأرض يشاهدونه . أمّا إنزال الوحي فهو حاصل وأبوا أن يؤمنوا به .

(٢) هذا اقتراح منهم حملهم عليه الكبر والعناد .

جعلناه ملكاً﴾ أي الرسول ملكاً لقالوا كيف نفهم عن الملك ونحن[1] بشر فيطالبون بأن يكون بشراً وهكـذا كما قال تعـالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً، وللبسنا عليهم﴾ خلطنا وشبهنـا ما يخلطون على أنفسهم ويشبهون. ثم أخبر تعالى رسوله مسلياً له قائلاً ﴿ولقد استهزىء[2] برسل من قبلك﴾ كما استهزيء بك فاصبر، فقد حاق بالمستهزئين ما كانوا به يستهزئون، كانوا إذا خوفهم الرسل عذاب الله سخروا منهم واستخفوا بهم وبالعذاب الذي خوفوهم به، ثم أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول لأولئك المستهزئين بما يعدهم من عذاب ربهم وهم أكابر مجرمي قريش: ﴿قل[3] سيروا في الأرض﴾ جنوباً لتقفوا على ديار عاد أو شمالاً لتقفوا على ديار ثمود، أو غرباً لتقفوا على بحيرة لوط فتعرفوا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من أمثالكم لعلكم تحققون من طغيانكم وتكذيبكم فيسهل عليكم الرجوع.

هدايـة الآيات

من هـداية الآيـات :

١ـ الآيات بمعنى المعجزات والخوارق لا تستلزم الإيمان بل قد تكون سبباً للكفر والعناد، ولذا لم يستجب الله لقريش ولم يعط رسوله ما طالبوه به من الآيات.

٢ـ إنكار رسالة البشر عام في كل الأمم وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم في آيات كثيرة في حين أن إرسال الملائكة لا يتم معه هدف لعدم قدرة الانسان على التلقي عن الملائكة والتفاهم معهم، ولو أنزل الله ملكاً رسولاً لقالوا نريده بشراً مثلنا ولحصل الخلط واللبس بذلك.

٣ـ الاستهزاء بالرسل والدعاة سنة بشرية لا تكاد تتخلف ولذا وجب على الرسل والدعاة الصبر على ذلك.

٤ـ عاقبة التكذيب والاستهزاء هلاك المكذبين المستهزئين.

٥ـ مشروعية زيارة القبور للوقوف[4] على مصير الإنسان ومآل أمره فإن في ذلك ما يخفف شهوة

---

(١) لأنّ سنة الله تعالى في التفاهم أن تكون بين متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان أمّا ملك مع انسان أو إنسان مع حيوان فلا لا.

(٢) في هذه الآية تعزية للرسول ﷺ وتسلية له ليصبر على ما يلاقيه من قومه من سخرية واستهزاء وعناد ومكابرة.

(٣) قال القرطبي: هذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار، وأقول على شرط أن يدخلوا تلك الديار باكين أو متباكين لا ضاحكين غافلين لاهين بأنواع الطعام والشراب.

(٤) أخذاً من قوله تعالى في الآية: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ وشاهده من السنة قوله ﷺ في السنة الصحيحة: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

الدنيا والنهم فيها والتكالب عليها وهو سبب الظلم والفساد.

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

كتب على نفسه الرحمة : أي أوجب على نفسه رحمة خلقه.

لا ريب فيه : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له.

خسروا أنفسهم : حيث لوثوها بأوضار الشرك والمعاصى فلم ينتفعوا بها.

وله ما سكن في الليل والنهار : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك أي له كل شيء.

وليــاً : أحبه وأنصره واطلب نصرته ومحبته وولايته.

من يصرف عنه : أي من العذاب بمعنى يبعد عنه.

الفــوز المبين : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث مع العادلين بربهم غيره من أهل الشرك فيقول تعالى لرسوله

سلهم قائلاً: ﴿لمن ما في السموات والأرض﴾[1] خلقاً وإيجاداً أو ملكاً وتصرفاً وتدبيراً، واسبقهم إلى الجواب فقل لله، إذ ليس لهم من جواب إلا هذا: ﴿لله﴾، أي هو الله الذي ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[2] قضى بها وأوجبها على نفسه، ومظاهرها متجلية في الناس: إنهم يكفرونه ويعصونه وهو يطعمهم ويسقيهم ويكلؤهم ويحفظهم، وما حمدوه قط. ومن مظاهر رحمته جمعه الناس ليوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم الحسنة بعشر أمثالها أما السيئة فبسيئة مثلها فقط وهو ما دل عليه قوله: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾[3] أى الكائن الآتـى بلا ريب ولا شك، وقوله تعالى: ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يخبر تعالى انَّ الذين كتب خسرانهم أزلاً في كتاب المقادير فهم لذلك لا يؤمنون وما كتب أزلاً لعلم تام بموقفهم هذا الذي هم وافقوه من الكفر والعناد والشرك والشر والفساد، بذلك استوجبوا الخسران هذا مادلت عليه الآية الأولى (١٢) أما الآية الثانية (١٣) ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ وهذا تقرير بأنه رب كل شيء والمالك لكل شيء إذ ما هناك إلا ساكن ومتحرك وهو رب الجميع، وهو السميع لأحوال عباده وسائر مخلوقاته العليم بأفعالهم الظاهرة والباطنةولذا لا يسأل عما يفعلويفعلما يشاء ويحكم ما يريد ومن هنا وجب اللجأ إليه والتوكل عليه، والانقياد لأمره ونهيه. وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٤) ﴿قل أغير الله[4] أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم﴾ يأمر تعالى رسوله أن يرد على المشركين المطالبين منه أن يوافقهم على شركهم ويعبد معهم آلهتهم فيقول: أفغير الله فاطر السموات والأرض الذي يطعم غيره لافتقاره إليه، ولا يطعم[5] لغناه المطلق أغيره تعالى أتخذ ولياً أعبده كما اتخذتم أنتم أيها المشركون أولياء تعبدونهم. إن هذا لن يكون أبداً كما أمره ربه تعالى أن يقول في صراحة ووضوح، ﴿إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ أي وجهه لله، وأقبل عليه يعبده

---

(١) هذا حجاج مع المشركين اخر: قل لهم لمن ما في السموات والأرض؟ فإن قالوا: لمن هو؟ قل: لله، ولكن لا يقولون إلاّ الله، لمعرفتهم أنّ غير الله لا يخلق ولا يرزق ولا يملك.

(٢) ولذا لم يعاجلهم بالعقوبة التي يقتضيها كفرهم وعنادهم، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله لمّا خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي».

(٣) اللام: للقسم أي: وعزتي وجلالي ليجمعنكم في يوم القيامة الذي كذّبتم به وهو لا شك فيه.

(٤) الإستفهام إنكاري وقدم المفعول الأوّل: ﴿أغير الله﴾ لأنّه هو المقصود بالإنكار.

(٥) أي يرزُق ولا يُرزَق كقوله تعالى: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير ﴿وهو يُطعم ولا يطعم﴾ بفتح العين أي إنّه يُطعم عباده بالرزق وهو لا يطعم لاستحالة احتياجه إلى الغذاء كما يحتاجه المخلوقون من عباده.

بما شرع له ، ونهاني أن أكون من المشركين بقوله : ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ الذين يعبدون مع الله غيره من مخلوقاته وأمره في الآية (١٥) أن يقول للمشركين الراغبين في تركه التوحيد: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[1] وهو عذاب يوم القيامة . إنه عذاب أليم لا يطاق من يصرف عنه[2] يومئذ فقد رحمه أي أدخله الجنة والنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ نعم فاز وأي فوز أكبر من الخلوص من العذاب ودخول في دار السلام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ عموم رحمة الله تعالى .

٢ ـ تقرير مبدأ الشقاوة والسعادة في الأزل قبل خلق الخلق .

٣ ـ الله رب كل شيء ومليكه .

٤ ـ تحريم ولاية غير الله ، وتحريم الشرك به تعالى .

٥ ـ بيان الفوز الأخروي وهو النجاة من العذاب ودخول الجنة .

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) قوله : ﴿إن عصيت ربي﴾ عوضا عن اسم الجلالة (الله) فيه إيماء وإشارة إلى أن عصيان الرب قبيح قبحاً أشد من عصيان المعبود ، لأن الربّ هو المليك المربي المتولي الحافظ الولي فعصيان من يربّي ويرزق قبيح جداً.

(٢) أي : من يصرف الله عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه فأدخله جنته بعد أن نجّاه من النار.

شرح الكلمات :

يمسسك	: يصبك.
بضر	: الضر: ما يؤلم الجسم أو النفس كالمرض والحزن.
بخير	: الخير: كل ما يسعد الجسم أو الروح.
القاهر	: الغالب المذل المعز.
شهادة	: الشهادة: إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه.
لأنذركم به	: لأخوفكم بما فيه من وعيد الله لأهل عداوته.
إله واحد	: معبود واحد لأنه رب واحد، إذ لا يعبد إلا الرب الخالق الرازق المدبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتقوية موقفه من أولئك العادلين بربهم المشركين به فيقول له ربه تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر[1] فلا كاشف له إلا هو﴾ أي إن أصابك الله بما يضرك في بدنك فلا كاشف له عنك بإنجائك منه إلا هو. ﴿وإن يمسسك بخير﴾ أي وإن يردك بخير فلا راد له[2] ﴿فهو على كل شيء قدير﴾، والخطاب وإن كان موجهاً للرسول ﷺ فإنه عام في كل أحد فلا كاشف للضر إلا هو، ولا راد لفضله أحد، ومع كل أحد، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٨) ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ تقرير لربوبيته المستلزمة لألوهيته فقهره لكل أحد، وسلطانه على كل أحد مع علو كلمته وعلمه بكل شيء موجب لألوهيته وطاعته وطلب ولايته، وبطلان ولاية غيره وعبادة سواه وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٩) ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ نزلت لما قال المشركون بمكة للرسول ﷺ إئتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروها فأمره ربه تعالى أن يقول لهم رداً عليهم: أي شيء أكبر شهادة؟ ولما كان لا جواب لهم إلا أن يقولوا الله أمره أن يجيب به: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾. فشهادة الله تعالى لي بالنبوّة إيحاؤه إليّ بهذا القرآن الذي أنذركم به، وأنذر

---

(١) الضرّ: هو ما يؤلم الإنسان وهو من الشر المنافي للإنسان ويقابله النفع وهو من الخير الملائم للإنسان ولذا فالضرّ هنا أعم من المرض إذ يتناوله وغيره من سائر مايضر الإنسان.

(٢) شاهده حديث ابن عباس عند الترمذي وهو صحيح إذ قال له رسول الله ﷺ يا غلام إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم انّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

كل من بلغه وسمع به بأن من بلغه ولم يؤمن به ويعمل بما جاء فيه من العقائد والعبادات[1] والشرائع فإنه خاسر لنفسه يوم القيامة. ثم أمره أن ينكر عليهم الشرك بقوله: أئنكم[2] لتشهدون مع الله آلهة أخرى، وذلك بإيمانكم بها وعبادتكم لها أما أنا فلا أعترف بها بل أنكرها فضلاً عن أن أشهد بها. ثم أمره بعد إنكار آلهة المشركين أن يقرر ألوهيته الله وحده وان يتبرأ من آلهتهم المدعاة فقال له قل: ﴿إنما هو إله واحد، وإنني بريء مما تشركون﴾.[3]

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب اللجأ إلى الله تعالى دون غيره من سائر خلقه إذ لا يكشف الضر[4] إلا هو.

٢ـ شهادة الله تعالى لرسوله بالنبوة وما أنزل عليه من القرآن وما أعطاه من المعجزات.

٣ـ نذارة الرسول بلغت كل من بلغه القرآن الكريم إلى يوم الدين.

٤ـ تقرير مبدأ التوحيد لا إله إلا الله، ووجوب البراءة من الشرك.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) في البخاري: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمداً ﷺ وسمع منه.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتقريع مع الإنكار لشهادتهم الباطلة وذلك بتأليههم الأصنام، والأحجار جهلا وعناداً.

(٣) أي من الشرك والشركاء معاً.

(٤) آية (يونس) في هذا الباب عظيمة إذ قال مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلاّ هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

شرح الكلمات :

الذين أوتوا الكتاب : علماء اليهود والنصارى.
يعرفونه : يعرفون محمداً نبياً لله ورسولاً له.
افترى على الله كذباً : اختلق الكذب وزوّره في نفسه وقال.
لا يفلح الظالمون : لا ينجون من عذاب الله يوم القيامة.
أين شركاؤكم : استفهام توبيخي لهم.
تزعمون : تدعون أنهم شركاء يشفعون لكم عند الله.
وضل عنهم : غاب عنهم ولم يحضرهم ما كانوا يكذبونه.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي علماء اليهود والنصارى ﴿يعرفونه﴾ أي النبي محمداً ﷺ أنه نبي الله ورسوله وأن القرآن كتاب الله أوحاه إليه يعرفونه بما ثبت من أخباره ونعوته معرفة كمعرفة أبنائهم، رد الله تعالى بهذا على العرب الذين قالوا: لو كنت نبياً لشهد لك بذلك أهل الكتاب ثم أخبر تعالى أن الذين[1] خسروا أنفسهم في قضاء الله وحكمه الأزلي لا يؤمنون، وإن علموا ذلك في كتبهم وفهموه واقتنعوا به، فهذا سر عدم إيمانهم، فلن يكون إذاً عدم إيمانهم حجة ودليلاً على النبي محمد ﷺ بأنه غير نبي ولا رسول هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٠) وفي الآية الثانية نداء الله تعالى لكلٍّ من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب بقوله ﴿ومن[2] أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ وهم المشركون بزعمهم أن الأصنام تشفع لهم عند الله ولذا عبدوها، أو كذبوا بآياته وهم أهل الكتاب، وأخبر أن الجميع في موقفهم المعادي للتوحيد والاسلام ظالمون، وإن الظالمون لا يفلحون فحكم بخسران الجميع إلا من آمن منهم وعبد الله ووحده وكان من المسلمين وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٢) ﴿ويوم نحشرهم[3] جميعاً﴾ مشركين وأهل كتاب أي لا يفلحون في الدنيا ولا يوم

---

(١) ﴿والذين خسروا أنفسهم﴾ في موضع النعت أو البدلية من قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾.
(٢) ﴿ومن أظلم﴾ الاستفهام للنفي والتقريع أي لا أحد أعظم ظلماً ممن افترى على الله الكذب أو كذّب بآياته التي هي الآيات القرآنية والمعجزات النبوية.
(٣) الظرف معمول لفعل محذوف تقديره: واذكر لقومك الوقت الذي يجري فيه الاستنطاق والاستجواب وكيف يكون موقف هؤلاء المشركين الظالمين.

نحشرهم وهو يوم القيامة لأنهم ظالمون، ثم أخبر تعالى بمناسبة ذكر يوم القيامة أنه يسأل المشركين منهم فيقول لهم: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم؟ ثم لم تكن نتيجة هذه الفتنة أي الاختبار إلا قولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[1]، يكذبون هذا الكذب لأنهم رأوا أن المشركين لا يغفر لهم ولا ينجون من النار. ثم أمر الله رسوله أن يتعجب من موقفهم هذا المخزي لهم فقال له: ﴿أنظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾[2] أما ربهم فهو عليم بهم ﴿وضل عنهم﴾ أي غاب فلم يروه. ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام إلا إيثار الدنيا على الآخرة.

٢ـ سببان في عظم الجريمة الكاذب على الله المفتري والمكذب الجاحد به وبكتابهوبنبيه.

٣ـ تقرير عدم فلاح الظالمين في الحياتين.

٤ـ الشرك لا يغفر لصاحبه إذا لم يتب منه قبل موته.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

---

(١) تبرّؤا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا من تجاوز الله ومغفرته للموحدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يغفر الله تعالى لأهل الإخلاص ذنوبهم ولا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك فتعالوا نقول: والله ربّنا ما كنا مشركين.

(٢) وجه كذبهم: أنهم كانوا يقولون في الأصنام تشفع لنا عند الله وتقرّبنا إليه زلفى. ففي هذا الموقف غاب عنهم الكذب والافتراء وواجهوا الحقيقة المرّة كما هي.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

شرح الكلمات :

أكـنـة	: جمع كنان ما يكن فيه الشيء كالغطاء .
وقـــراً	: ثقلاً وصممًا فهم لا يسمعون .
يجادلونك	: يـخـاصـمونك .
أساطير الأولين	: جمع أسطورة : ما يكتب ويحكى من أخبار السابقين .
وينأون عنه	: أي ويبعدون عنه .
بل بدا لهم	: بل ظهر لهم .
إن هي إلا حياتنا	: ما هي إلا حياتنا .
مبعوثـين	: بعد الموت أحياء كما كنا قبل أن نموت .

معنى الآيـات :

مازال السياق في الحديث عن أولئك العادلين بربهم المشركين به سواه فيخبر تعالى عن بعضهم فيقول ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ حال قراءتك القرآن ولكنه لا يعيه قلبه ولا يفقه ما فيه من أسرار وحكم تجعله يعرف الحق ويؤمن به ، وذلك لما جعلنا حسب سنتنا في خلقنا من أكنة[1] على قلوبهم أي أغطية ، ومن[2] وقر أي ثقل وصمم في آذانهم ، فلذا هم يستمعون ولا يسمعون ، ولا يفقهون وتلك الأغطية وذلك الصمم هما نتيجة ما يحملونه من بغض للنبي ﷺ وكره لما جاء به من التوحيد ، ولذافهم لو يرون كل آية مما يطالبون به من المعجزات كإحياء الموتى ونزول الملائكة عياناً لا يؤمنون بها لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا ولذا قال تعالى :

---

(١) الأكنة : جمع كنان كأسنة جمع سنان ، والأعنة جمع عنان ، والكنّة : امرأة الأب لأنها في كنّه ، وكذا امرأة الابن والأخ .
(٢) يقال : وقرت أذنه توقر وقراً ، إذا صمّت ، والنخلة موقر وموقرة إذا كانت ذات ثمر كثير .

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي في شأن التوحيد وآلهتهم ﴿يقول الذين كفروا إن هذا[1]﴾ أي ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ ، أمليت عليك أو طلبت كتابتها فأنت تقصها، وليس لك من نبوة ولا وحي ولا رسالة. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٢٥) أما باقي الآيات فإن الثانية (٢٦) تضمنت إخبار الله تعالى عنهم بأنهم ينهون الناس عن الإيمان بالنبي وبـما جاء به وعن متابعته والدخول في دينه، وينأون هم بأنفسهم أي يبعدون عنه فلا إيمان ولا متابعة. وهذه شر الصفات يصفهم الله تعالى بها وهي البعد عن الحق والخير، وأمر الناس بالبعد عنهماونهيهم عن قربها ولذا قال تعالى: ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم[2]﴾ بهذا الموقف الشائن المعادى للرسول والتوحيد، وما يشعرون بذلك إذ لو شعروا لكفوا، والذي أفقدهم الشعور هو حب الباطل والشر الذي حملهم على عداوة الرسول وما جاء به من عبادة الله وتوحيده وها هم أولاً قد حشروا في جهنم، والله تعالى يقول للرسول: ﴿ولو ترى إذ وقفوا[3] على النار﴾ ولا بد لهم من دخولها والاصطلاء بحرها والاحتراق بلهبها، فقالوا وهم في وسطها ﴿يا ليتنا نرد﴾ إلى الحياة الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا، ونكون من المؤمنين﴾، وما هم والله بصادقين وإنما هي تمنيات حمل عليها الإشفاق من العذاب والخوف من نار جهنم، والفضيحة حين ظهر لهم[4] ما كانوا يخفون في الدنيا من جرائم وفواحش وهم يغشـونها الليل والنهـار قال تعالى وهو العليم الخبير: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾، وصدق الله لو ردوا لعادوا وفي الآية الأخيرة (٢٩) يسجل الله تعالى عليهم سبب بلائهم ومحنتهم، وإقدامهم في تلك الجرأة الغريبة على الشرك ومحاربة التوحيد، ومحاربة الموحدين بالضرب والقتل والتعذيب إنه كفرهم بالبعث والجزاء إذ قالوا ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿إن هي إلا حياتنا[5] الدنيا، وما نحن بمبعوثين﴾.

---

(١) قال ابن عباس: قالوا للنضر بن الحارث ما يقول محمد؟ قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلاّ أساطير الأوّلين مثل ما أحدّثكم أنا عن القرون الماضية إذ كان النضر صاحب قصص سمعها من ديار العجم إذ كان سافر إليها للتجارة، والأساطير: جمع أسطار وأسطورة نحو: أحاديث وأحدوثة ومعنى الأساطير: ما كتب وسطّر من أخبار الأولين وهو ترّهاتهم وأباطيلهم.

(٢) ﴿وإن يهلكون﴾ أي: ما يهلكون فإن بمعنى: ما النافية.

(٣) أي: وهم على الصراط وهي تحتهم أو وقفوا بقربها وهم يعاينونها، وجواب لو محذوف تقديره: لرأيت منظراً هائلاً ونحوه.

(٤) قوله تعالى ﴿وبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي في دار الدنيا من الكفر والتكذيب والعناد وجائز أن يكون ظهر لهم صدق ماكانوا يعلمون أنّه حق من أمر الدين والتوحيد ولكن يخفونه في أنفسهم حتى لا يعلم ذلك إخوانهم في الكفر واتباعهم في الشرك.

(٥) هذا سبب شقائهم هو إنكارهم للبعث والجزاء ومغالطة أنفسهم بأنه لاحياة إلاّ الحياة الدنيا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان سنة الله تعالى فى أن العبد إذا كره أحداً وأبغضه وتغالى في ذلك يصبح لا يسمع ما يقول له، ولا يفهم معنى ما يسمع منه.

٢ـ شر دعاة الشر من يعرض عن الهدى ويأمر بالإعراض عنه، وينهى من يقبل عليه.

٣ـ سبب الشر في الأرض الكفر بالله، وإنكار البعث والجزاء الآخر.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

وقفوا على ربهم : جيء بهم ووقفوا على قضائه وحكمه تعالى فيهم.

بلى وربنا : أي إنه للحق والله.

خسر الذين كذبوا : أي خسروا أنفسهم في جهنم.

الساعة بغتة : ساعة: البعث ليوم القيامة وبغتة: أي فجأة.

يا حسرتنا : الحسرة: التندم والتحسر على ما فات ينادون حسرتهم زيادة في التألم والتحزن.

أوزارهم : أحمال ذنوبهم إذ الوزر الحمل الثقيل.

لعب ولهو : اللعب: العمل الذي لا يجلب درهماً للمعاش، ولا حسنة للمعاد.

واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيراً أو يدفع عنه ضيراً.

معنى الآيـات :

يقول تعالى لرسوله: ولو ترى[1] إذ وقف أولئك لمنكرون للبعث القائلون ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾، لو تراهم وقد حبسوا لقضاء الله وحكمه فيهم وقيل لهم وهم يشاهدون أهوال القيامة وما فيها من حساب وجزاء وعذاب ﴿أليس[2] هذا بالحق﴾ أي الذي كنتم تكذبون فيسارعون بالإجابة قائلين ﴿بلى، وربنا﴾، فيحلفون بالله تعالى تأكيداً لصحة جوابهم فيقال لهم[3]: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ لا ظلمًا منا ولكن بسبب كفركم إذ الكفر منع من طاعة الله ورسوله، والنفس لا تطهُر إلا على تلك الطاعة، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٠) أما الآية الثانية (٣١) فقد أعلن تعالى عن خسارة صفقة الكافرين الذين باعوا الإيمان بالكفر والتوحيد بالشرك، والطاعة بالمعاصي فقال تعالى: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله[4]﴾ أي بالحياة بعد الموت وهذا هو سبب المحنة والكارثة ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ ساعة فناء هذه الحياة وإقبال الحياة الآخرة ﴿بغتة﴾ أي فجأة لم يكونوا يفكرون فيها لكفرهم بها، وعندئذ صاحوا بأعلى أصواتهم معلنين عن تندمهم ﴿يا حسرتنا[5] على ما فرطنا﴾ أي في صفقتنا حيث اشترينا الكفر بالإيمان والشرك بالتوحيد قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ من الجائز أن تصور لهم أعمالهم من الكفر والشرك والظلم والشر والفساد في صورة رجل قبيح أشوه فيحملونه على ظهورهم في عرصات القيامة وقد ورد به خبر. ولذا قال تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي قبح ما يحملونه! وفي الآية (٣٢) الأخيرة يخبر تعالى مذكراً واعظاً ناصحاً فيقول يا عباد الله : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ فانتبهوا فلا تغتروا بما فيها من ملذات فإن نعيمها إلى زوال ما شأنها إلا شأن من يلعب أو يلهو، ثم لا يحصل على طائل من لعبه ولهوه[6]، أما الدار الآخرة فإنها خير ولكن للذين يتقون الشرك والشر

---

(١) جواب لو محذوف تقديره: لعَظُم شأن الوقوف.

(٢) الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي: أليس هذا البعث كائنا موجوداً.

(٣) جائز أن يكون القائل: الله تعالى، وجائز أن تكون الملائكة وهو أولى لأنهم ليسوا أهلا لأن يكلّمهم الربّ تبارك وتعالى.

(٤) أي بالبعث بعد الموت والجزاء على العمل في الدنيا هذا كقوله ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» في الصحيح، إلاّ أنه لا مانع من حمل اللفظ على ظاهره لأنّ لقاء الله كائن حقاً وكيف وهو الذي يفصل بينهم في ساحة فصل القضاء.

(٥) أي: ياحسرتنا احضري فهذا أوان حضورك، والحسرة: الندم الشديد، والتلهف والنداء للتندّم والتعجب من حالهم وما حلّ بهم.

(٦) هي كما قال الحكيم:

ألا إنّما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمّل إذا ما نلت بالأمس لذّة ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

والمعاصي، فما لكم مقبلين على الفانى معرضين عن الباقي ﴿أفلا تعقلون ؟ !﴾

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير مبدأ البعث والجزاء بذكر صور ومشاهد له.

٢ـ قبح الذنوب وأنها أسوأ حمل يحمله صاحبها يوم القيامة.

٣ـ حكم الله تعالى بالخسران على من كذب بلقائه فلم يؤمن ولم يعمل صالحا.

٤ـ الساعـة لا تأتي إلا بغتة، ولا ينافي ذلك ظهور علاماتها، لأن الزمن ما بين العلامة والعلامة لايعرف مقداره.

٥ـ نصيحة القرآن للعقلاء بأن لا يغتروا بالحياة الدنيا. ويهملوا شأن الآخرة وهي خير للمتقين.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

شـرح الكلمـات :

ليحـــزنـك : أي ليوقعك في الحزن الذي هـو ألم النفس من جراء فقد ما تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل كتكذيبك وأذيتك.

فإنهم لا يكذبونك : أي لا ينسبونك إلى الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية لعلمهم اليقيني أنك صادق.

كذبت رسل : أي كذبتهم أقوامهم وأممهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

ولا مبدل لكلمات الله : التي تحمل وعده بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

من نبإ المرسلين : أي أخبارهم في دعواتهم مع أممهم.

تبتغي نفقاً : تطلب سرباً تحت الأرض.

أو سلمًا في السماء : أي مصعداً تصعد به الى السماء.

بآية : أي خارقة من خوارق العادات وهى المعجزات.

فلا تكونن من الجاهلين : أي فلا تقف موقف الجاهلين بتدبير الله في خلقه.

معنى الآيات :

هذه الآيات من تربية الله تعالى لرسوله وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوة الحق التي أناط به بلاغها وبيانها فقال له تعالى: ﴿قد نعلم إنه﴾[1] أي الحال والشأن، ﴿ليحزنك الذي يقولون﴾ أي الكلام الذي يقولون لك وهو تكذيبك واتهامك بالسحر، والتقول على الله، وما إلى ذلك مما هو إساءة لك وفي الحقيقة إنهم لا يكذبونك[2] لما يعلمون من صدقك وهم يلقبونك قبل إنبائك لهم وإرسالك بالأمين ولكن الظالمين هذا شأنهم فهم يرمون الرجل بالكذب وهم يعلمون أنه صادق ويقرون هذا في مجالسهم الخاصة، ولكن كي يتوصلوا إلى تحقيق أهدافهم في الإبقاء على عاداتهم وما ألفوا من عبادة أوثانهم يقولون بألسنتهم من نسبتك إلى الكذب وهم يعلمون أنك صادق غير كاذب[3] فإذا عرفت هذا فلا تحزن لقولهم.

---

(١) قد نعلم إنه: كسرت إن في إنه لدخول اللام في ﴿ليحزنك﴾ ولولاها لفتحت نحو أنه يحزنك.

(٢) روي أن أبا جهل وجماعة معه من رجالات قريش مرّوا بالنبي ﷺ فقالوا يا محمد ما نكذّبك وإنّك عندنا لصادق ولكن نكذّب ما جئت به. وهذه الآية شاهد لصحة هذه الرواية، ومعنى يكذّبونك ينسبونك إلى الكذب ويردون قولك.

(٣) روى ابن اسحق وغيره أنّ الأخنس بن شريق أتى أبا جهل فقال له: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد إذ كانوا يأتون دار محمد وهو يصلي بالليل يستمعون القرآن فإذا طلع النهار تفرّقوا قال ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الرُكب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك نحن هذه والله لا نؤمن أبداً ولا نصدقه فقام الأخنس وتركه.

هذا أولاً وثانياً فقد كذبت رسل من قبلك وأوذوا كما كُذبت أنت وأوذيت، وصبروا حتى أتـاهم نصرنـا فاصبر أنت حتى يأتيك النصر فإنه لا مبدل لكلمات الله التي تحمل وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه، ولقد جاءك في هذا الكتاب الذي أوحينا إليك من نبأ المرسلين وأخبـارهم ما يكون عوناً لك على الصبر حتى النصر فاصبر، وثالثاً ﴿إن كان كبر[1] عليك إعراضهم﴾ عن دعوتك وعدم إيمانهم بها حتى تأتيهم بآية تلجئهم إلى الإيمان بك وبرسالتك كما يطلبون منك ويُلِحُّون عليك وهم كاذبون فإن استطعت أن تطلب لهم آية من تحت الأرض أو من السماء فافعل، وهذا ما لا تطيقه ولا تستطيعه لأنه فوق طاقتك فلا تكلف به وإذاً فما عليك إلا بالصبر هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾ أي[2] سرباً، ﴿أو سلماً في السماء﴾ أي مصعداً ﴿فتأتيهم بآية﴾ أي فافعل، وما أنت بقادر فاصبر إذاً ورابعاً إن الله قادر على أن يجمعهم كلهم على الإيمان بك وبرسالتك والدخول في دينك، ولكنه لم يشأ ذلك لحكم عالية فلا تطلب أنت مالا يريده ربك، فإنك إن فعلت كنت من الجاهلين،[3] ولا نريد لك ذلك.[4]

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات :

١ـ ثبوت بشرية الرسول ﷺ ولذا هو يحزن لفوت محبوب كما يحزن البشر لذلك.

٢ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يأتيه موعود ربه بالنصر.

٣ـ بيان سنة الله في الأمم السابقة.

٤ـ إرشاد الرب تعالى رسوله إلى خير المقامات وأكمل الحالات بإبعاده عن ساحة الجاهلين.

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ﴿كَبُرَ﴾ ثقل فشق عليه تحمله لثقله.

(٢) أي نفقا كالأنفاق المعروفة اليوم تحت الأرض، والسلّم: الدرج وهو ما يرقى عليه وسمي السلم من السلامة.

(٣) ولا يليق بمثلك مثله وهذا كلّه تسلية للرسول ﷺ وتعزية وحمل له على الصبر وهو لكلّ داعٍ إلى الله تعالى يواجه التكذيب والتعذيب إلى يوم الدين.

(٤) جائز أن يكون المعنى: من الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم ويناسب الأوّل قوله ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ والثاني قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم..﴾ الآية.

قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

إنما يستجيب	: أي لدعوة الحق التي دعا بها رسول الله ﷺ فيؤمن ويهتدي .
يبعثهم الله	: أي يوم القيامة .
لولا نزل عليه آية	: هلا أداة تحضيض لا لولا الشرطية .
آية من ربه	: آية : خارقة تكون علامة على صدقه .
لا يعلمون	: أي ما يترتب على إيتائها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار .
من دابة	: الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان .
في الكتاب	: كتاب المقادير أم الكتاب اللوح المحفوظ .
صم وبكم في الظلمات	: صم : لا يسمعون وبكم : لا ينطقون في الظلمات لا يبصرون .
صراط مستقيم	: هو الدين الإسلامي المفضي بالأخذ به إلى سعادة الدارين .

معنى الآيات :

بعدما سلى الرب تعالى رسوله في الآيات السابقة وحمله على الصبر أعلمه هنا بحقيقة علمية تساعده على الثبات والصبر فأعلمه أن الذين يستجيبون لدعوته ﷺ هم الذين يسمعون لأن حاسة السمع عندهم سليمة ما أصابها ما يخل بأداء وظيفتها من كره الحق

ويبغض أهله والداعين إليه فهؤلاء هم الذين يستجيبون لأنهم أحياء أما الأموات فإنهم لا يسمعون ولذا فهم لا يستجيبون ولكن سيبعثهم الله يوم القيامة أحياء ثم يرجع الجميع إليه من استجاب، لحياة قلبه، ومن لم يستجب لموت قلبه ويجزيهم بما عملوا الجزاء الأوفى وهو على كل شيء قدير، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٦) أما الآية الثانية (٣٧) فقد أخبر تعالى رسوله بقولهم ﴿لولا نزل عليه آية﴾، وعلمه أن يقول لهم ﴿إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ وهي الخارقة كإحياء الموتى أو تسيير الجبال أو إنزال الملائكة يشاهدونهم عياناً، ولكن لم ينـزلها لحكم عالية وتدبير حكيم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ الحكمة في ذلك[1]، ولو علموا أنها إذا نزلت كانت نهاية حياتهم لما سألوها. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير[2] بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ سبقت هذه الآية لبيان كمال الله تعالى وشمول علمه وعظيم قدرته، وسعة تدبيره تدليلاً على أنه تعالى قادر على إنزال الآيات، ولكن منع ذلك حكمته تعالى في تدبير خلقه فما من دابة تدب في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم مثل الأمة[3] الإنسانية مفتقرة إلى الله تعالى في خلقها ورزقها وتدبير حياتها، والله وحده القائم عليها، وفوق ذلك إحصاء عملها عليها ثم بعثها يوم القيامة ومحاسبتها ومجازاتها، وكل ذلك حواه كتاب المقادير وهو يقع في كل ساعة ولا يخرج شيء عما كتب في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فهل يعقل مع هذا أن يعجز الله تعالى عن إنزال آية، وكل مخلوقاته دالة على قدرته وعلمه ووحدانيته، ووجوب عبادته وفق مرضاته، وقوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾[4] كل دابـة وكل طائر يموت أحب أم كره، ويبعث[5] أحب أم كره، والله وحده مميته ومحييه ومحاسبه ومجازيه، ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾، ومن هنا كان المكذبون بآيات الله ﴿صم وبكم

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ به، وروي عن أبي ذرّ قال، انتطحت شاتان عند رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا. قلت: لا، قال: لكن الله تعالى يدري وسيقضي بينهما».

(٢) من الحكمة في عدم انزال الآية أنه لو أنزلها ما آمنوا بها، فاستوجبوا الهلاك فأهلكهم، ولكنّه يريد الإبقاء عليهم ليخرج من أصلابهم مؤمنين يعبدونه ويوحدونه.

(٣) ذكر الجناحين للتأكيد من جهة، وإزالة الإبهام من جهة أخرى لأنّ العرب تطلق لفظ الطيران على غير الطائر فتقول للرجل طِر في حاجتي أي أسرع في قضائها وطائر الإنسان ما قسم الله له أزلاً قال تعالى: ﴿وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

(٤) وهذه المثلية بين الإنسان وبين دواب الأرض وطائر السماء تقتضي ألا يظلم الإنسان الحيوان ولا يؤذيه ولا يتجاوز ما أمر به نحوه، ووجه المثلية في كون كلّ من الإنسان والحيوان يسبّح الله تعالى ويدل على قدرته وعلمه وحكمته.

(٥) قيل في ﴿يحشـرون﴾ أنّ حشرها الموت وهو مروي عن ابن عباس قال: موت البهائم: حشرها وروي عن مجاهد والضحاك أيضاً، وقيل حشرها: هو بعثها يوم القيامة حيّة وهذا أصح لحديث: «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة».

في الظلمـــات[1]﴾ أموات غير أحياء إذ الأحياء يسمعون وينطقون ويبصرون وهؤلاء صم بكم في الظلمات فهم أموات غير أحياء وما يشعرون. وأخيراً أعلم تعالى عباده أن هدايتهم كإضلالهم بيده فمن شاء هداه ومن شاء أضله، وعليه فمن أراد الهداية فليطلبها في صدق من الله جل جلاله وعظم سلطانه ومن رغب عنها فلن يعطاها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الإيمان بالله ورسوله ولقائه حياة والكفر بذلك موت فالمؤمن حي والكافر ميت.

٢- سبب تأخر الآيات علم الله تعالى بأنهم لو أعطاهم الآيات ما آمنوا وبذلك يستوجبون العذاب.

٣- تعدد الأمم[2] في الأرض وتعدد أجناسها والكل خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له.

٤- تقرير ركن القضاء والقدر وإثباته في أم الكتاب.

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا

(١) إنها ظلمات الكفر والشرك والمعاصي وما ينتج عن ذلك من القلق والحيرة واضطراب النفس، والخوف، والهمّ.

(٢) روى ابن كثير بسنده عن الحافظ أبي يعلى عن جابر بن عبدالله أن الجراد لم يُرَفي سنةمن سِني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا إلى كذا واخر إلى الشام، واخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أو لا؟ قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبّر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله عز وجل ألف أمّة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البرّ وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه. هذه الرواية ذكر بعض أهل العلم بطلانها.

نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتكم	: أخبروني.
الساعة	: يوم القيامة.
يكشف	: يزيل ويبعد وينجي.
البأساء والضراء	: البأساء: الشدائد من الحروب والأمراض، والضراء: الضر.
يتضرعون	: يتذللون في الدعاء خاضعون.
بغتة	: فجأة وعلى حين غفلة.
مبلسون	: آيسون قنطون متحسرون حزنون.
دابر القوم	: آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم.
الحمد لله	: الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه.

معنى الآيات :

مازال السياق في طلب هداية أولئك المشركين العادلين بربهم أصناماً وأحجاراً، فيقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا لأولئك الذين يعدلون بنا الأصنام ﴿أرأيتكم﴾[1] أي أخبروني، ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ اليوم انتقاما منكم، ﴿أو أتتكم الساعة﴾ وفيها عذاب يوم القيامة، ﴿أغير الله تدعون﴾ ليقيكم العذاب ويصرفه عنكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن آلهتكم تنفع وتضر، تقي السوء وتجلب الخير؟ والجواب معلوم أنكم لا تدعونها ليأسكم من إجابتها بل الله[2] وحده هو الذي تدعونه فيكشف ما تدعونه له إن شاء، وتنسون عندها ما تشركون به من الأصنام فلا تدعونها ليأسكم من إجابتها لضعفها وحقارتها.

---

(١) قال القرطبي: هذه الآية في محاجة المشركين ممن اعترف أنّ له صانعاً أي: أنتم عند الشدائد ترجعون إلى الله تعالى وسترجعون إليه يوم القيامة أيضاً، فلم تصرّون على الشرك في حال الرفاهية؟! وكانوا يعبدون الأصنام ويدعون الله في صرف العذاب.

(٢) ﴿بل إيّاه تدعون﴾ بل: للإضراب، إضراب عن الأوّل وهو دعاء غير الله تعالى وإيجاب للثاني وهو دعاء الله عز وجل.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (٤٠) والثانية (٤١) وأما الآيات الأربع بعدهما فإن الله تعالى يخبر رسوله بقوله ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم[١] من قبلك﴾ أي أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممهم فأمروهم بالإيمان والتوحيد والعبادة فكفروا وعصوا فأخذناهم بالشدائد من حروب ومجاعات وأمراض لعلهم يتضرعون إلينا فيرجعون إلى الإيمان بعد الكفر والتوحيد بعد الشرك والطاعة بعد العصيان ولما لم يفعلوا ويخهم تعالى بقوله: ﴿فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا[٢]﴾ أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا إلينا ﴿ولكن﴾ حصل العكس حيث ﴿قست قلوبهم وزين لهم الشيطان﴾ أي حسن لهم﴿ما كانوا يعملون﴾من الشرك والمعاصي. وهنا لما نسوا ما ذكرتهم به رسلهم فتركوا العمل به معرضين عنه غير ملتفتين إليه فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء[٣] من الخيرات حتى إذا فرحوا بذلك[٤] وسكنوا إليه واطمأنوا ولم يبق بينهم من هو أهل للنجاة. قال تعالى ﴿أخذناهم بغتة﴾ أي فجأة بعذاب من أنواع العذاب الشديدة ﴿فإذا هم مبلسون[٥]﴾ آيسون من الخلاص متحسرون ﴿فقطع دابر[٦] القوم الذين ظلموا﴾ أي استؤصلوا بالعذاب عن آخرهم. وانتهى أمرهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ ناصر أوليائه ومهلك أعدائه فاذكر هذا لقومك يارسولنا لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى الحق الذي تدعوهم إليه وهم معرضون.

هداية الآيات

من هداية الايات:

١ـ من غريب أحوال الإنسان المشرك أنه في حال الشدة الحقيقية يدعو الله وحده ولا يدعو معه الألهة الباطلة التي كان في حال الرخاء والعافية يدعوها.

---

(١) أي أرسلنا رسلاً. فرسلاً مضمر وهناك إضمار آخر تقديره: فكذّبوهم فأهلكناهم.

(٢) يتضرعون: يدعون الله ويتذلّلون له، إذ التضرع مأخوذ من الرضاعة التي هي الذلة، يقال: ضرع إليه فهو ضارع أي: متذلل.

(٣) أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم وهو استدراج لهم وقد تطول مدّة الاستدراج والإمهال عشرين سنة فأكثر.

(٤) روى أحمد عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: «فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون».

(٥) قالوا: المبلس: هو الباهت الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال قال العجاج.

يا صاح هل تعرف رسما مكرساً ... قال نعم أعرفه وأبلسا

المكرّس: الذي به الكرس وهو أبوال الإبل وأبعارها.

(٦) الدابر: الآخر يقال: دبر القوم يدبرهم دبراً إذا كان آخرهم. ومعناه أخذهم أجمعين إذ آخر من يؤخذ هو من كان خلف القوم وآخرهم.

٢ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم.

٣ـ إذا رأيت الأمة قد فسقت عن أمر ربها ورسوله فعوقبت فلم تتعظ بالعقوبة واستمرت على فسقها وبسط الله تعالى لها في الرزق وأغدق عليها الخيرات فاعلم أنها قد استدرجت للهلاك وأنها هالكة لا محالة.

٤ـ شؤم الظلم هلاك الظالمين.

٥ـ الإرشاد إلى حمد الله تعالى عند نهاية كل عمل، وعاقبة كل أمر.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

أرأيتم : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب.

أخذ سمعكم وأبصاركم : أي أصمكم وأعماكم.

وختم على قلوبكم : جعلها لا تعي ولا تفهم.

نصرف الآيات : ننوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح.

يصدفون : يعرضون.

بغتة أو جهرة : بغتة: بدون إعلام ولا علامة سابقة، والجهرة: ما كان بإعلام وعلامة تدل عليه.

هل يهلك : أي ما يهلك.

معنى الآيـات :

مازال السياق في دعوة العادلين بربهم الأصنام والأوثان إلى التوحيد فقال تعالى لنبيه يلقنه الحجج التي تبطل باطل المشركين ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني يا قوم ﴿إن أخذ الله سمعكم[1]﴾ وجعلكم صمًا لا تسمعــون وأخــذ ﴿أبصـاركم﴾ فكنتم عمياً لا تبصرون ﴿وختم على قلوبكم﴾ أي طبع عليها فأصبحتم لا تعقلون ولا تفهمون. أي إله غير الله يأتيكم بالذي أخذ الله منكم؟ والجواب لا أحد، إذاً فكيف تتركون عبادة من يملك سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ويملك كل شيء فيكم وعندكم، وتعبدون مالا يملك من ذلكم من شيء؟ أي ضلال أبعد من هذا الضلال! ثم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿أنظر﴾ يا رسولنا ﴿كيف[2] نصرف الآيات﴾ أي ننوع أساليبها زيادة في بيانها وإظهار الحجة بها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي يعرضون عادلين بربهم مالا يملك نفعاً ولا ضراً ثم أمره في الآية الثانية (٤٧) أن يقول لهم وقد أقام الحجة عليهم في الآية الأولى (٤٦) قل لهم ﴿أرأيتكم﴾ أي أخبروني[3] ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ وقد استوجبتموه بصدوفكم عن الحق وإعراضكم عنه ﴿بغتة[4]﴾ أي فجأة بدون سابق علامة، ﴿أو جهرة﴾ بعلامة تقدمته تنذركم به أخبروني من يهلك منا ومنكم؟ ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون[5]﴾ بصرف العبادة إلى من لا يستحقها وترك من وجبت له وهو الله الذي لا إله إلا هو ثم عزى الرحمن جل جلاله رسوله بقوله: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين[6] ومنذرين﴾ أي ما نكلفهم بغير حمل البشارة بالنجاة ودخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً والنذارة لمن كفر وعمل سوءاً، فقال تعالى: ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿والذين

---

(١) الأخذ: انتزاع الشيء، وتناوله من مقره وهو هنا بمعنى السلب والإعدام.

(٢) هذا التعجيب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة، أي: انظر كيف نكررها ونلونها من أسلوب إلى آخر تارة نوردها بمقدمات عقلية وأخرى بأسلوب الترغيب والترهيب، والتنبيه والتذكير.

(٣) وهذا تبكيت آخر غير الأول لهم.

(٤) وفُسّر بغتة وجهرة بليلا ونهارا والكل صالح وصحيح.

(٥) الاستفهام في قوله: ﴿هل يهلك..﴾ الخ للتقرير وحصر الهلاك في أهل الظلم تسجيلا عليهم الظلم وإيذاناً بأن هلاكهم كان سبب ظلمهم الذي هو وضعهم الشرك موضع التوحيد والكفر موضع الإيمان.

(٦) ﴿مبشرين ومنذرين﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدرين تبشيرهم وإنذارهم وفيهما معنى التعليل للإرسال والتبشير: الأصل فيه الإخبار بالأمر السار، والإنذار: الإخبار بالخبر الضار دنيويا أو أخرويا. والمراد هنا بكل من البشارة والنذارة نعيم الآخرة وعذابها.

كذبـوا بآياتنا﴾ التي نرسل بها المرسلين فلم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً ﴿يمسهم العذاب﴾[1] عذاب النار ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم عن طاعتنا وطاعة رسلنا الفسق الذي أثمره لهم التكذيب بالآيات، إذ لو آمنوا بآيات الله لما فسقوا عن طاعته وطاعة رسوله فشؤمهم في تكذيبهم، وذلك جزاؤهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ افتقار العبد إلى الله في سمعه وبصره وقلبه وفي كل حياته موجب عليه عبادة الله وحده دون سواه.

٢ـ هـلاك الظالمين لا مناص منه عاجلاً أو آجلاً.

٣ـ بيان مهمة الرسل وهي البشارة لمن أطاع والنذارة لمن عصى والهداية والجزاء على الله تعالى.

٤ـ الفسق عن طاعة الله ورسوله ثمرة التكذيب، والطاعة ثمرة الإيمان.

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

(١) أي: العذاب الذي أنذروا به وهو عاجل كعذاب الدنيا أو آجل وهو عذاب الآخرة.

عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

خزائن : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ.

الغيب : ما غاب عن العيون وكان محصلاً فى الصدور وهو نوعان غيب حقيقي وغيب إضافي فالحقيقي مالا يعلمه إلا الله تعالى، والإضافي ما يعلمه أحد ويجهله آخر.

أنذر به : خوّف به أي بالقرآن.

الغداة : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والعشي من صلاة العصر إلى غروب الشمس.

فتطردهم : أي تبعدهم من مجلسك.

فتنا : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير، والشريف بالوضيع.

من الله علينا : أي أعطاهم الفضل فهداهم إلى الإسلام دوننا.

بالشاكرين : المستوجبين لفضل الله ومنته بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم.

معنى الآيات :

مازال السياق مع العادلين بربهم الأصنام المنكرين للنبوة المحمدية فأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾[1] أي خزائن الأرزاق ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ من الملائكة ما أنا إلا عبد رسول أتبع ما يوحي[2] إلي ربي فأقول وأعمل بموجب وحيه إلي. ثم قال له اسألهم قائلاً ﴿هل

(١) هذا ردّ على المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالى رسوله أن يرد عليهم بأنّه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتى يعطيهم ما يطلبون ويقترحون، ولا هو يعلم الغيب حتى يخبرهم بموعد العذاب الذي ينتظرهم، ولا هو ملك يقدر على مالا يقدر عليه البشر، وإنما هو بشر يوحى إليه الخبر من ربّه فيخبر به ويعمل به ليس غير.

(٢) هذا غير ناف لاجتهاد الرسول ﷺ وكثيرا ما يجتهد وقد يقيس على المنصوص عنه، ولكنه لا يقرّ على غير الحق وما يرضي الرب عز وجل.

يستوي الأعمى[1] والبصير؟﴾ والجواب لا، فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر، والمهدي والضال ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي مالكم لا تتفكرون فتهتدوا للحق وتعرفوا سبيل النجاة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٠) أما الآية الثانية (٥١) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن ينذر بالقرآن المؤمنين العاصين فقال ﴿وأنذر به[2] الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ يوم القيامة وهم مذنبون، وليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع[3] فهؤلاء ينفعهم إنذارك بالقرآن أما الكفرة المكذبون فهم كالأموات لا يستجيبون وهذا كقوله تعالى من سورة ق ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ فهؤلاء إن أنذرتهم يرجى لهم أن يتقوا معاصي الله ومعاصيك أيها الرسول وهو معنى قوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون﴾. هذا ما تضمنته الآية الثانية (٥١) أما الآية الثالثة (٥٢) وهي قوله تعالى ﴿ولا تطرد[4] الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه﴾ فإن بعض المشركين في مكة اقترحوا على الرسول ﷺ أن يبعد من مجلسه فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب حتى يجلسوا إليه ويسمعوا عنه فهمَّ الرسول ﷺ أن يفعل رجاء هداية أولئك المشركين فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في صلاة الصبح، وصلاة العصر، يريدون وجه الله ليرضى عنهم ويقربهم ويجعلهم من أهل ولايته وكرامته، ومبالغة في الزجر عن هذا الهم قال تعالى: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ أي ما أنت بمسؤول عن خطاياهم إن كانت لهم خطايا، ولا هم بمسئولين عنك فلم تطردهم إذاً؟ ﴿فتطردهم[5] فتكون من الظالمين﴾ أي فلا تفعل، ولم يفعل ﷺ وصبر عليهم وحبس نفسه معهم وفي الآية الأخيرة (٥٣) يقول تعالى: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾[6]

---

(١) في هذا الخطاب الاستفهامي إيماء إلى المفارقة التامة الحاصلة من المؤمنين والكافرين، وأن الكافرين عمي والمؤمنين بصراء، والمؤمنون مهتدون، والكافرون ضالون، فما لهم لا يتفكّرون لعلهم يخرجون من ظلمة كفرهم.

(٢) وأنذر به أي: بالقرآن وقيل بيوم القيامة، وكونه القرآن أولى وأصح لقوله تعالى: ﴿فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد﴾.

(٣) في الآية دليل على إبطال شفاعة الأصنام لعابديها، والأولياء للمشركين ممن يذبحون لهم وينذرون كما فيها إبطال لزعم أهل الكتاب القائلين نحن أبناء الله وأحباؤه فسوف يشفع لنا الأب، إذ شرط صحة الشفاعة يوم القيامة أن يأذن الله لمن يشفع وأن يرضى بنجاة المشفوع له.

(٤) روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدّث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم...﴾ الآية.

(٥) في الآية دليل على عدم جواز تعظيم الرجل لجاهه وثوبه وعدم احتقار الرجل لخموله ورثاثة ثوبه.

(٦) الفتنة: الاختبار أي: عاملناهم معاملة المختبر لهم فأغنينا بعضا وأفقرنا بعضا واللاّم في قوله تعالى: ﴿ليقولوا﴾ هي لام العاقبة أي: ليقول أغنياء وأشراف المشركين مشيرين إلى فقراء المؤمنين: أهؤلاء منّ الله عليهم بأن وفقهم لإصابة الحق دوننا، ونحن الرؤساء وهم العبيد.

أي هكذا ابتلينا بعضهم ببعض هذا غني وذاك فقير، وهذا وضيع وذاك شريف، وهذا قوي وذاك ضعيف ليؤول الأمر ويقول الأغنياء الشرفاء للفقراء الضعفاء من المؤمنين استخفافاً بهم واحتقاراً لهم: أهؤلاء الذين من الله عليهم بيننا بالهداية والرشد قال تعالى: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾. بلى فالشاكرون هم المستحقون لإنعام الله بكل خير وأما الكافرون فلا يعطون ولا يزادون لكفرهم النعم، وعدم شكرهم لها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير بشرية الرسول ﷺ.

٢ـ تقرير مبدأ أن الرسول لا يعلم الغيب، وأنه لا يتصرف في شيء من الكون.

٣ـ نفي مساواة المؤمن والكافر إذ المؤمن مبصر والكافر أعمى.

٤ـ استحباب مجالسة أهل الفاقة وأهل التقوى والايمان.

٥ـ بيان الحكمة في وجود أغنياء وفقراء وأشراف ووضعاء، وأقوياء وضعفاء وهي الاختبار.

٦ـ الشاكرون مستوجبون لزيادة النعم، والكافرون مستوجبون لنقصانها وذهابها.

وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ[1] غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ

---

(١) قرىء ﴿فانه غفور﴾ بالفتح أنّه وقرىء بكسرها على الاستئناف، أمّا على الفتح ففي توجيهه رأيان، الأوّل أن يكون في موضع رفع على الابتداء كأنّه قال: فله أنه غفور رحيم أي: فله غفران الله، والثاني: أن يضمر مبتدأ تكون أنّ وما وعملت فيه خبره، تقديره فأمره غفران الله له، وهذا الأخير أولى من الأول.

أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

سلام عليكم : دعاء بالسلامة من كل مكروه ، وهي تحية المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة في الجنة .

كتب ربكم على نفسه الرحمة : أي أوجب الرحمة على نفسه فلذا لا يعذب إلا بعد الإنذار، ويقبل توبة من تاب .

سوءاً : أي ذنباً أساء به إلى نفسه .

بجهالة : الجهالة أنواع منها : عدم تقدير عاقبة الذنب، ونسيان عظمة الرب .

تستبين : تتضح وتظهر.

نهيت : أي نهاني ربي أي زجرني عن عبادة أصنامكم .

تدعون : تعبدون .

بينة : البينة : الحجة الواضحة العقلية الموجبة للحكم بالفعل أو الترك .

إن الحكم : أي ما الحكم إلا لله .

يقص الحق : أي يخبر بالحق .

خير الفاصلين : الفصل في الشيء : القضاء والحكم فيه ، والفاصل في القضية : الحاكم فيها ومنهيها .

معنى الآيات :

يرشد الله تبارك وتعالى رسوله إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه ، بعد أن نهاه عن الطريقة التي هم بها وهي طرد المؤمنين من مجلسه ليجلس الكافرون رجاء هدايتهم فقال تعالى :

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾[1] أي يصدقون بنبوتك وكتابك وما جئت به من الدين الحق فهؤلاء رحب بهم وقل[2] سلام عليكم ومهما كانت ذنوبهم التي ارتكبوها، وأخبرهم أن ربهم تعالى قد كتب[3] على نفسه الرحمة فلا يخافون ذنوبهم بعد توبتهم وإنابتهم إلى ربهم بالإيمان به وتوطين النفس على طاعته، ﴿أنه من عمل منكم سوءً[4] بجهالة ثم تاب من بعده﴾ أي أقلع عن الذنب نادماً مستغفراً ، وأصلح نفسه بالصالحات فإن ربه غفور رحيم فسيغفر له ويرحمه. هكذا يستقبل كل عبد جاء مؤمناً مستفتياً يسأل عن طريق النجاة يستقبل بالبشر والطلاقة والتحية والسلام لا بالعنف والتقريع والتوبيخ. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٤) أما الآية الثانية (٥٥) فإنه تعالى بعد أن نهى رسوله عن الاستجابة لاقتراح المشركين المتكبرين، وعن طرد المؤمنين وعن حكمته فى وجود أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء في الناس وعن الطريقة المثلى فى استقبال التائبين المستفتين بعد هذا كله قال تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات مستقبلاً لبيان الهداية الإلهية ليهتدي من أراد الله له الهداية وقد طلبها ورغب فيها، ولتستبين[5] وتتضح سبيل المجرمين، فلا تُتبع وَيَنْهىٰ عن اتباعها، لأنها طريق الهلاك والدمار. هذا ما أفادته الآية الثانية أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة في هذا السياق فهي تحمل الهداية الإلهية للرسول ﷺ في طريق دعوته إلى ربه فكل آية من تلك الآيات مفتتحة بكلمة (قل) أي قل أيها الرسول لأولئك المشركين الذين يدعونك إلى موافقتهم على شركهم وعبادة غيري معهم ﴿أني نهيت﴾ أي نهاني ربي أن أعبد ما تدعون[6] من الأصنام والأوثان، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله تعالى الموروثة لكم عن آبائكم الضلال مثلكم إني إن فعلت أكون قد

---

(١) روي عن الفضل بن عباس قوله: جاء قوم من المسلمين إلى النبي ﷺ فقالوا إنّا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فأعرض عنهم فنزلت الآية، وروي عن أنس بن مالك مثله.

(٢) أي: سلمكم الله في دينكم وأنفسكم، كان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام».

(٣) كتب: بمعنى أوجب ذلك على نفسه بفضله ورحمته، وكتبه في اللوح المحفوظ فالكتابة على بابها إذاً.

(٤) ﴿سوءا﴾ أي خطيئة من غير إرادة تحدي شرع الله وانتهاك حرماته وإنما ضعفاً منه وعدم قدرة على التغلب على طبعه وشهوته وميل هواه.

(٥) قرىء: ﴿ليستبين﴾ بالياء والتاء فقراءة التاء يكون الخطاب فيها لرسول الله ﷺ أي: ولتستبين يا رسولنا سبيل المجرمين، وخطاب النبي ﷺ خطاب لأمته، وإذا بان سبيل المجرمين فقد بان سبيل المؤمنين وقراءة الياء ليستبين سبيل المجرمين، فسبيل مرفوع على الفاعلية.

(٦) أطلق لفظ الدعاء وأريد به العبادة، لأنّ الدعاء هو العبادة ومخها أيضاً لما في الدعاء من مظاهر العبودية لله تعالى ومظاهر أسمائه وصفاته عز وجل.

ضللت[1] إذاً وما أنا من المهتدين إلى سبل الفوز والفلاح. وقل: ﴿إني على بينة من ربي﴾ أي على علم يقيني من وجوب الإيمان بالله ووجوب توحيده وطاعته ووجوب الدعوة إلى ذلك، وكذبتم أنتم بهذا كلهوبالعذاب إذ أنذرتكم به وأنا ما عندي ما تستعجلون به من العذاب، ولو كان عندي لحل بكم وانتهى أمركم، ولكن الحكم لله ليس لأحد غيره وقد قص عليكم أخبار السابقين المطالبين[2] رسلهم بالعذاب ورأيتم كيف حل بهم العذاب، ﴿والله يقص[3] الحق وهو خير الفاصلين﴾ فإذا أراد أن يحكم بيني وبينكم فإنه نعم الحكم والعدل وهو خير الحاكمين. وقل لهم يارسولنا ﴿لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ بتدمير الظالم منا، ﴿والله أعلم بالظالمين﴾، ولا يهلك غيرهم لأنهم المستوجبون للعذاب بظلمهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الرفق والتلطف بالمستفتين وعدم الشدة والغلظة عليهم.

٢ـ اتباع أهواء أهل الأهواء والباطل يضل ويهلك.

٣ـ على المسلم الداعي إلى ربه أن يكون على علم كاف بالله تعالى وبتوحيده ووعده ووعيده وأحكام شرعه.

٤ـ وجوب الصبر والتحمل مما يلقاه الداعي من أهل الزيغ والضلال من الاقتراحات الفاسدة.

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

---

(١) قرىء ﴿ضلَلت﴾ بفتح اللام وكسرها، وهما لغتان، فضلِلت: بكسر اللام لغة تميم، والفتح لغة الحجاز، وهي أفصح.

(٢) إذ أكثر أمم الرسل قالوا لرسلهم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قالتها عاد لنبيها هود وقالها قوم نوح لنوح عليه السلام.

(٣) أي: يقص القصص الحق، قال القرطبي بهذا استدل من منع المجاز في القرآن، وقرىء نقض بالضاد من القضاء ويدل عليه قوله بعد: ﴿وهو خير الفاصلين﴾ الفصل: القضاء والحكم.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

مفاتح الغيب : المفاتح : جمع مفتح[1] بفتح الميم أي المخزن.

البر والبحر : البر ضد البحر، وهو اليابس من الأرض، والبحر ما يغمره الماء منها.

ورقة : واحدة الورق والورق للشجر كالسعف للنخل.

حبة : واحدة الحب من ذرة أو بر أو شعير أو غيرها.

ولا رطب : الرطب ضد اليابس من كل شيء.

في كتاب مبين : أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

يتوفاكم بالليل : أي ينيمكم باستتار الأرواح وحجبها عن الحياة كالموت.

جرحتم : أي كسبتم بجوارحكم من خير وشر.

ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى : أي يوقظكم لتواصلوا العمل إلى نهاية الأجل المسمى لكم.

حفظة : الكرام الكاتبين.

رسلنا : ملك الموت وأعوانه.

---

(١) المفتاح والجمع مفاتيح، والمفتح: عبارة عن كل ما يحل مغلقاً محسوساً كالقفل للباب، أو معقولا كالنظر. وفي الحديث: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر».

معنى الآيـات :

لما ذكر تعالى في نهاية الآية السابقة أنه أعلم بالظالمين المستحقين للعقوبة أخبر عز وجل أن الأمر كما قال ودليل ذلك أنه عالم الغيب والشهادة، إذ ﴿عنده مفاتح الغيب﴾[1] أي خزائن الغيب وهو الغيب الذي استأثر بعلمه فلا يعلمه سواه [2] ويعلم ما في البر والبحر وهذا من عالم الشهادة، إضافة إلى ذلك أن كل شيء كان أو يكون من أحداث العالم قد حواه كتاب له اسمه اللوح المحفوظ، وهو ما دل عليه قوله: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب[3] ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ وما كتبه قبل وجوده فقد علمه إذاً فهو عالم الغيب والشهـادة أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علمًا، فكيف إذاً لا يعبد ولا يرغب فيه ولا يرهب منه وأين هو في كماله وجلاله من أولئك الأموات من أصنام وأوثان. ؟؟ هذا مادلت عليه الآية الأولى (٥٩) وأما الآية الثانية (٦٠) فقد قررت ما دلت عليه الآية قبلها من قدرة الله وعلمه وحكمته فقال تعالى مخبراً عن نفسه ﴿وهو الذي يتوفاكم[4] بالليل﴾ حال نومكم إذ روح النائم تقبض ما دام نائمًا ثم ترسل إليه عند إرادة الله بعثه من نومه أي يقظته، وقوله ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي في النهار المقابل لليل، وعلة هذا أن يقضى ويتم الأجل الذي حدده تعالى للإنسان يعيشه وهو مدة عمره طالت أو قصرت، وهو معنى قوله ﴿ثم يبعثكم فيه ليُقضىٰ أجل مسمى﴾ وقوله تعالى ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ لا محالة وذلك بعد نهاية الأجل، ﴿ثم ينبئكم﴾ بعلمه ﴿بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ويجازيكم بذلك وهو خير الفاصلين. وفي الآية الثالثة يخبر تعالى عن نفسه أيـضاً تقريراً لعظيم سلطانه الموجب له بالعبادة والرغبة والرهبة إذ قال مخبراً عن نفسه ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، ذو القهر التام

---

(١) روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاّ الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» ولذا قال ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» والعرّاف الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، والمهنة: العرافة، وصاحبها عَرّاف. وفي مسلم عن عائشة أنها قالت سأل رسول الله أناس عن الكهانة فقال: «ليست بشيء. فقالوا يا رسول الله انهم يحدّثون أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليّه قرّ الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنّ رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

(٣) يطلق لفظ الرطب على الماء وما ينبت والحيّ، ولسان المؤمن، واليابس على ضد ذلك كالياس والترابُ ومالاً ينبت، ولسان الكافر لأنّه لا يذكر الله تعالى.

(٤) التـوفي: استيفاء الشيء، وتوفي الميت: استوفى عدد أيام عمره، والنائم كأنه استوفى حركاته في اليقظة، والوفاة: الموت، واستوفى دينه: أخذه كاملا.

والسلطان الكامل على الخلق أجمعين ﴿ويرسل عليكم﴾ أيها الناس ﴿حفظة﴾[1] بالليل والنهار يكتبـون أعمالكم وتحفظ لكم لتجزوا بها ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ لانقضاء أجله ﴿تـوفته رسلنا﴾ ملك الموت وأعوانه، ﴿وهم لا يفرطون﴾ أي لا يضيعون ولا يقصرون وأخيراً يقول تعالى مخبراً بالأمر العظيم إنه الوقوف بين يدي الرب تعالى المولى الحق الذي يجب أن يعبد دون سواه، وقد كفره أكثر الناس وعصوه، وفسقوا عن أمره وتركوا طاعته وأدهى من ذلك عبدوا غيره من مخلوقاته فكيف يكون حسابهم والحكم عليهم؟ والله يقول: ﴿ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[2].

هدايـة الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله تعالى.

٢ـ استئثار الله تعالى بعلم الغيب.

٣ـ كتاب المقادير حوى كل شيء حتى سقوط الورقة من الشجرة وعلم الله بذلك.

٤ـ صحة إطلاق الوفاة على النوم، وبهذا فسر قوله تعالى لعيسى إني متوفيك.

٥ـ تقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء.

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم

---

(١) الحفظة: جمع حافظ كالكتبة جمع كاتب، والمراد هنا: الملائكة الكرام الكاتبون وهم أربعة: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وخامس لا يفارق أبداً.

(٢) ﴿أسرع الحاسبين﴾ أي: لا يحتاج إلى فكرة وروية ولا عقد يد.

﴿بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

شرح الكلمات :

ينجيكم	: يخلصكم مما تخافون.
تضرعاً وخفية	: التضرع: الدعاء بتذلل وخفية بدون جهر بالدعاء.
من هذه	: أي الهلكة.
من الشاكرين	: المعترفين بفضلك الحامدين لك على فعلك.
كرب	: الكرب: الشدّة الموجبة للحزن وألم الجسم والنفس.
تشركون	: أي به تعالى بدعائهم أصنامهم وتقربهم إليها بالذبائح.
من فوقكم	: كالصواعق ونحوها.
من تحت أرجلكم	: كالزلزال والخسف ونحوهما.
أو يلبسكم شيعاً	: أي يخلط عليكم أمركم فتختلفون شيعاً وأحزاباً.
ويذيق بعضكم بأس بعض	: أي يقتل بعضكم بعضاً فتذيق كل طائفة الأخرى ألم الحرب.
يفقهون	: معاني ما نقول لهم.
وكذب به قومك	: أي قريش.
الوكيل	: من يوكل إليه الشيء أو الأمر يدبره.
لكل نبأ مستقر	: المستقر: موضع الاستقرار والنبأ: الخبر العظيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين العادلين بربهم فيقول الله تعالى لرسوله قل لهم: ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾[1] إذا ضل أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل، أو

---

(١) ظلمات البر والبحر: كناية عن شدائدهما، يقال: يوم مظلم أي: شديد، وتقول العرب: يوم ذو كواكب وأنشد سيبويه.

بني أسد هل تعلمون بلادنا إذا كان يوم ذو كواكب أشنعا

وجمع الظلمات لتعددها إذ هي ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم.

ركب البحر فغشيته ظلمة السحاب والليل والبحر واضطربت نفسه من الخوف يدعو من؟ إنه يدعو الله وحده لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو يدعوه ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلا وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الهلكة التي حاقت بنا لنكونن من الشاكرين لك. ثم إذا نجاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف عدتم فجأة الى الشرك به بدعاء غيره. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٣) ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾، وفي الآية الثانية (٦٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم جواباً لقوله من ينجيكم: ﴿الله ينجيكم منها﴾[1] أي من تلك الحالة التي اضطربت لها نفوسكم وخشيتم فيها الهلاك وينجيكم أيضاً من كل كرب[2]، ثم مع هذا يا للعجب أنتم تشركون[3] به تعالى أصنامكم. قل لهم يا رسولنا أن الله الذي ينجيكم من كل كرب هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من السماء فوقكم[4]، أو من الأرض تحتكم، أو يخلط عليكم أمركم فتتنازعوا فتختلفوا فتصبحوا شيعاً وطوائف وفرقاً متعادية يقتل بعضكم بعضا، فيذيق بعضكم بأس بعض، ثم قال الله تعالى لرسوله انظر يا رسولنا كيف نفصل الآيات بتنويع الكلام وتوضيح معانيه رجاء أن يفقهوا معنى ما نقول لهم فيهتدوا إلى الحق فيؤمنوا بالله وحده ويؤمنوا بلقائه وبرسوله وما جاء به فيكملوا ويسعدوا وفي الآية (٦٥) يخبر تعالى بواقع القوم: أنهم كذبوا بهذا القرآن وما أخبرهم به من الوعيد الشديد وهو الحق الذي ليس بباطل ولا يأتيه الباطل، ويأمر رسوله أن يقول لهم بعد تكذيبهم له ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأخاف من تبعة عدم إيمانكم وتوحيدكم ﴿ولكل نبأ مستقر﴾[5] وقد أنبأتكم بالعذاب على تكذيبكم وشرككم ﴿وسوف تعلمون﴾ ذلك يوم يحل بكم وقد استقر نبأه يوم بدر والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ لا برهان أعظم على بطلان الشرك من أن المشركين يخلصون الدعاء لله تعالى في الشدة.

---

(١) قرىء: ﴿ينجّيكم﴾ بالتشديد، و﴿ينجيكم﴾ بالتخفيف، والمعنى واحد والفعل: يقال نجّاه من كذا وأنجاه من كذا.

(٢) الكرب: الغمّ يأخذ النفس ويقال فيه: رجل مكروب، والكربة مأخوذة منه.

(٣) هذه الجملة تحمل لهم التقريع والتوبيخ أي: ومع هذا الإنجاء الذي يحصل لكم من ربكم إذا أنتم مشركون باللوقاحة والدناءة، وإلا فهم مشركون من قبل.

(٤) من فوقكم كالحجارة، والطوفان والصواعق ومن تحتكم كالخسف والرجفة.

(٥) ﴿لكل نبأ﴾ أي: خبر مستقر أي وقت يقع فيه مضمونه فلا يتقدّم ولا يتأخر.

٢ـ لا منجى من الشدائد ولا منقذ من الكروب إلا الله سبحانه وتعالى.

٣ـ التحذير من الاختلاف المفضي[١] إلى الانقسام والتكتل.

٤ـ ﴿لكل نبأ مستقر﴾. أجري مجرى المثل، وكذا ﴿سوف تعلمون﴾.

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات:

يخوضون في آياتنا : يتكلمون في القرآن طعناً فيه ونقداً له ولما جاء فيه.

فأعرض عنهم : قم محتجاً على صنيعهم الباطل، غير ملتفت إليهم.

بعد الذكرى : أي بعد التذكر.

---

(١) يحسن ذكر شاهد عظيم على معنى هذه الآية: ﴿ويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ روى مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله زوى لي الأرض (أي جمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ أمتى سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمّتى ألّا يهلكهم بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإنّ ربي قال لي يامحمد: إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمّتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا».

ولكن ذكـــرى : أي موعظة لهم.
وذر الذيـن : أي اتـرك الكافرين.
لعبـاً ولهواً : كونه لعباً لأنه لا يجنون منه فائدة قط، وكونه لهواً لأنهم يتلهون به وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم.
أن تبسل نفس : أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم.
كـل عـــدل : العدل هنا: الفـداء.
أبســـلو : حبسوا في جنهم بما كسبوا من الشرك والمعاصي.
مـن حمــيم : الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق.
وعـذاب أليـم : أي شديد الألم والإيجاع وهو عذاب النار.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث مع أولئك العادلين المكذبين فيقول الله تعالى لرسوله ﴿وإذا رأيت[1] الذين يخوضون في آياتنا﴾ يستهزئون بالآيات القرآنية ويسخرون مما دلت عليه من التوحيد والعذاب للكافرين ﴿فأعرض عنهم﴾ أي فصد عنهم وانصرف ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وإن أنساك الشيطان نهينا هذا فجلست ثم ذكرت فقم ولاتقعد مع القوم الـظالمين، وقوله تعالى: ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أي وليس على المؤمنين المتقين أنت وأصحابك يا رسولنا من تبعة ولا مسئولية ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكرى لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله تعالى. وهذا كان بمكة قبل قـوة الإسلام، ونزل بالمدينة النهي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله ومن جلس معهم يكون مثلهم وهو أمر عظيم قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ هذا ما دلت عليه الأيتان الأولى والثانية.

---

(١) الخطاب للرسول ﷺ وأصحابه وأمته داخلة معه في هذا فمتى حصل لمؤمن أو مؤمنة مثل هذا تعيّن عليه أن يقوم احتجاجا وعدم رضاً، وفي الآية دليل على أنّ مجالسة أهل الكبائر لاتجوز لاسيما في حال تلبسهم بالكبيرة، وهذه أقوال السلف في هذه المسـألة قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهجر مؤمنا كان أو كافراً قال القرطبي: منع أصحابنا الدخول على أرض العدو ودخول كنائسهم ومجالسة الكفار وأهل البدع وألاّ تعتقد مودّتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم. قال الفضيل بن عياض من أحبّ صاحِب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه.

أما الثالثة (٧٠) فإن الله تعالى يأمر رسوله أن يترك الذين اتخذوا دينهم الحق الذي جاءهم به رسول الحق لعباً ولهواً يلعبون به أو يسخرون منه ويستهزئون به وغرتهم الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم[1] لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ اتركهم فلا يهمك أمرهم وفي هذا تهديد لهم على ما هم عليه من الكفر والسخرية والاستهزاء، وقد أخبر تعالى في سورة الحجر أنه كفاه أمرهم إذ قال ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، وقوله تعالى ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس﴾ أي كي لا تبسل[2] ﴿بما كسبت﴾ أي كي لا تسلم نفس للعذاب بما كسبت من الشرك والمعاصي، ﴿ليس لها﴾ يوم تسلم للعذاب ﴿من دون الله ولي﴾ يتولى خلاصها، ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها فينجيها من عذاب النار ﴿وإن تعدل كل عدل[3] لا يؤخذ منها﴾ أي وإن تقدم ما أمكنها حتى ولو كان ملء الأرض ذهباً فداء لها لما نفعها ذلك ولما نجت من النار، ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين أبلسوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم﴾ أبلسوا: أسْلِمُوا وأخذوا إلى جهنم بما كسبوا من الذنوب والآثام لهم في جهنم شراب من ماء حميم حار وعذاب موجع أليم. وذلك بسبب كفرهم بالله وآياته ورسوله. حيث نتج عن ذلك خبث أرواحهم فما أصبح يلائم وصفهم إلا عذاب النار قال تعالى من هذه السورة سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الجلوس في مجالس يسخر فيها من الإسلام وشرائعه وأحكامه وأهله.

٢- وجوب القيام احتجاجاً من أي مجلس يعصى فيه الله ورسوله.

٣- مشروعية الإعراض في حال الضعف عن المستهزئين بالإسلام الذين غرتهم الحياة الدنيا من أهل القوة والسلطان وحسب المؤمن أن يعرض عنهم فلا يفرح بهم ولا يضحك لهم.

---

(١) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهوا ولعباً، والظاهر أنّه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالى إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهوا ولعبا يسخرون ويستهزئوا به.

(٢) قال القرطبي تبسل أي ترتهن وتسلم للهلكة عن مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والإبسال تسليم المرء للهلاك. قال الشاعر:

وابسالي بنيَّ بغير جرم بعوناه ولابدم مراق

ومعنى بعوناه جنيناه. والشاهد في قوله وإبسالي بني حيث أسلم بنيه للهلاك.

(٣) العدل الفداء أو الفدية.

٤ـ وجوب التذكير بالقرآن وخاصة المؤمنين الذين يرجى توبتهم .

٥ـ من مات على كفره لم ينج من النار إذ لا يجد فداء ولا شفيعاً يخلصه من النار بحال .

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

أندعوا : أي نعبد .

مالا ينفعنا ولا يضرنا : أي ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا لو أراد ذلك لنا .

ونرد على أعقابنا : أي نرجع كفاراً بعد أن كنا مؤمنين .

استهوته الشياطين : أي أضلته في الأرض فهوى فيها تائه حيران لا يدري أين يذهب .

واتقوه : أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته .

ويوم يقول كن فيكون : أي في يوم القيامة .

الصور : بوق كالقرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام .

الحكيم : في أفعاله الخبير بأحوال عباده .

معنى الآيـات :

يدل السياق على أن عرضا من المشركين كان لبعض المؤمنين لأن يعبدوا معهم آلهتهم فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم عرضهم الرخيص منكراً عليهم ذلك أشد الإنكار ﴿قل أنـدعوا من دون الله﴾ ، الاستفهام للإنكار، ﴿ما لا ينفعنا﴾ إن عبدناه، ﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا عبادته وبذلك نصبح وقد رددنا على أعقابنا[1] من التوحيد إلى الشرك بعد إذ هدانا الله إلى الإيمان به ومعرفته ومعرفة دينه، فيكون حالنا كحال من أضلته الشياطين في الصحراء فتاه فيها فلا يدرى أين يذهب ولا أين يجيىء، ﴿وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ وهو لا يقدر على إجابتهم ولا الاتيان إليهم لشدة ما فعل استهواء[2] الشياطين في عقله. ثم أمره أن يقول أيضاً قل إن الهدى الحق الذي لا ضلال ولا خسران فيه هدى الله الذي هدانا إليه ألا إنه الإسلام، وقد أمرنا ربنا أن نسلم[3] له قلوبنا ووجوهنا لأنه رب العالمين فأسلمنا، كما أمرنا أن نقيم الصلاة فأقمناها وأن نتقيه فاتقيناه وأعلمنا أنا سنحشر إليه يوم القيامة فصدقناه في ذلـك ثم هدانـا فلن نرجـع بعـد إلى الضـلالـة. هذا ما تضمنتـه الآيتـان الأولى والثـانية أما الثالثة (٧٣) فقد تضمنت تمجيد الرب بذكر مظاهر قدرته وعلمه وعدله فقال تعالى: ﴿وهو﴾ أي الله رب العـالمين الذي أمرنا أن نسلم له فأسلمنا ﴿الذى خلق السموات والأرض بالحق﴾[4] فلم يخلقهما عبثاً وباطلاً بل خلقهما ليذكر فيهما ويشكر، ويوم يقول لما أراد إيجاده أو إعدامه أو تبديله كن فهو يكون كما أراد في قوله الحق دائماً ﴿وله الملك يوم[5] ينفخ فى الصور﴾[6] نفخة الفناء فلا يبقى شيء إلا هو الواحد القهار فيقول جل ذكره ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلا

---

(١) أي نرجع من الهدي إلى الضلال. والأعقاب جمع عقب وهي مؤنثه فتصغر على عقبيه. ويقال رجع على عقبيه إذا أدبر وأصابه من العاقبة والعقبى من ذلك عقب الرجل ومنه العقوبة لأنها تالية للترتيب وتكون نسبية.

(٢) استهوته بمعنى استغوته وزينت له هواه ودعته إليه فهو إذاً من هوى يهوى من هوى النفس وليس هو يهوي إلى الشيء إذا أسرع إليه والحيران هو الذي لا يهتدي لجهله.

(٣) الآية وأمرنا لنسلم ومعناها أمرنا بأن نسلم تقول العرب أمرتك لتذهب وبأن تذهب بمعنى واحد واللامات أربع: لام الجر، لام الابتداء، لام التوكيد، ولام الأمر.

(٤) قال القرطبي: ومعنى ﴿بالحق﴾ أي بكلمة الحق يعني قوله ﴿كن﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنى بحكمة أي لم يخلقها لهواً أو لعباً هذا أوضح وأهم كما هو في التفسير.

(٥) من أخطاء الناس قول من قال الصور جمع صورة ومعناه ينفخ في الصور فتتم الحياة وهذا يتنافى مع الأحاديث الصحاح ومع سياق الآية. إذ قال ثم نفخ فيه أخرى أي مرة أخرى ولم يقل فيها أي في الصور فأين معنى الصورة هنا؟

(٦) الصور القرن والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء والنفخة التالية لها نفخة البعث وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء.

يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه قائلا: ﴿لله الواحد القهار﴾ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم ما غاب في خزائن الغيب عن كل أحد، ويعلم الشهادة والحضور لا يخفي عليه أحد وهو الحكيم في تصرفاته وسائر أفعاله وتدابيره لمخلوقاته الخبير ببواطن الأمور وظواهرها لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء بهذا كان المعبود الحق الذي لا يجوز أن يعبد سواه بأي عبادة من العبادات التي شرعها سبحانه وتعالى ليُعْبَد بها.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ قبح الردة وسوء عاقبتها.

٢ـ حرمة إجابة أهل الباطل لما يدعون إليه من الباطل.

٣ـ لا هدى إلا هدى الله تعالى أي لا دين إلا الإسلام.

٤ـ وجوب الإسلام لله تعالى وإقامة الصلاة واتقاء الله تعالى بفعل المأمور وترك المنهي .

٥ـ تقرير المعاد والحساب والجزاء.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

شـرح الكلمـات :

إبراهيـم : هو إبراهيم خليل الرحمن بن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام.

أصنامـاً : جـمع صنم تمثال من حجر.

آلهـــة : جمع إله بمعنى المبعود.

في ضـــلال : عدول عن طريق الحق.

ملكـــوت : مُـــلك.

جن عليه الليل : أظلـــم.

فلـما أفـل : أي غـــاب

بازغـــا : طالعـاً والبزوغ الطلوع.

الضـــالـيـــن : العادلين عن طريق الحق إلى طريق الباطل.

وجهت وجهـي : أقبلت بقلبي على ربي وأعرضت عما سواه.

حنيفـــاً : مائلاً عن الضلال إلى الهدى.

معنى الآيـات :

مازال السياق في بيان الهدى للعادلين بربهم أصناماً يعبدونها لعلهم يهتدون فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾[1]، آي واذكر لهم قول إبراهيم لأبيه آزر: ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾[2] أي أتجعل تماثيل من حجارة آلهة. أرباباً تعبدها أنت وقومك ﴿إني أراك﴾ ياأبت ﴿وقومك في ضلال مبين﴾[3] عن طريق الحق الذي ينجو ويفلح سالكه هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٤) أما الآية الثـانية (٧٥) فإن الله تعالى يقول: ﴿وكذلك نُري إبراهيم[4]

---

(١) قيل لآزر اسم آخر هو تارح فيكون كيعقوب له اسم يعقوب واسرائيل أما من قال آزر عمه فخلط وخبط حملهم عليه عدم اطاقتهم أن يكون والد رسول في النار وهو غاية الجهل بأسرار الشرع وحكمه وآزر بالرفع على تقدير النداء أي يا آزر.

(٢) الاستفهام للانكار وأصناماً مفعول أول وآلهة مفعول ثان لأن اتخذ تنصب مفعولين كعلم.

(٣) كان قوم ابراهيم صابئين يعبدون الكواكب ويصورون لها أصناماً وهي ديانة الكلدانيين قوم ابراهيم وكانوا يعبدونها توسلاً وتقرباً بها إلى الله تعالى ولذا فهم مشركون وليسوا ملاحدة.

(٤) نوري هو بمعنى ارينا الماضي.

ملكوت[1] السموات﴾ والأرض أي كما أريناه الحق في بطلان عبادة أبيه للأصنام نريه أيضاً مظاهر قدرتنا وعلمنا وحكمنا الموجبة لألوهيتنا في ملك السموات والأرض، ليكون بذلك من جملة الموقنين، واليقين من أعلى مراتب الإيمان. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وفي الثالثة (٧٦) فصّل الله تعالى ما أجمله في قوله ﴿نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾. فقال تعالى ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي أظلم ﴿رأى كوكباً﴾ قد يكون الزهرة ﴿قال هذا ربي[2] فلما أفل﴾ أي غاب الكوكب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾، ﴿فلما رأى القمر[3] بازغاً﴾ أي طالعاً ﴿قال هذا ربي، فلما أفل﴾ أي غاب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾، في معرفة ربهم الحق. ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ أي طالعة ﴿قال هذا ربي[4] هذا أكبر﴾ يعني من الكوكب والقمر ﴿فلما أفلت[5]﴾ أي غابت بدخول الليل ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾. هكذا واجه إبراهيم قومه عبدة الكواكب التي تمثلها أصنام منحوتة واجههم بالحقيقة التي أراد أن يصل إليها معهم وهي إبطال عبادة غير الله تعالى فقال ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾ لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم لا بأمر ربكم، وأعلن براءته في وضوح وصراحة: فقال: ﴿وما أنا من المشركين﴾[6].

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إنكار الشرك على أهله، وعدم إقرارهم ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء.

٢ـ فضل الله تعالى وتفضله على من يشاء بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها.

---

(١) الملكوت الملك زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة في الصفة، ومثله الرغبوت والرهبوت والجبروت من الرغبة والرهبة والجبر قيل كشف له تعالى عن السموات والأرض حتى رأى العرش وأسفل الأرضين.

(٢) قوله هذا ربي في المواضع كلها في السياق ليس هو على ظاهره أبداً. بل هو تدرج بهم إلى الوصول إلى الحقيقة وهو إنه لا إله إلا الله فقوله: هذا ربي أي على قولكم أو زعمكم وهو كقوله تعالى أين شركائي كما زعمتم أو على قولكم وإلا فالله تعالى يعلم أنه لا شريك له أبداً أو هو على حذف حرف الاستفهام أي أهو ربي؟ نحو أفإن مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون؟.

(٣) بزغ القمر إذا بدأ في الطلوع وأصل البزغ الشق فالقمر يشق الظلام بنوره ومن بزغ البيطار الدابة إذا أسال دمها. ومنه البزاغ وهو ما يسيل من الفم.

(٤) هذا ربي أي هذا الطالع ربي وإلاّ فالشمس مؤنثة وقد قال فيها بازغة.

(٥) أفل يأفل أفولاً إذا غاب.

(٦) في أنا ثلاث لغات انَ وأنَــه، وأنا وهي متعينة في الوقف (أنا).

٣ـ مطلب اليقين وأنه من أشرف المطالب وأعزها، ويتم بالتفكر والنظر في الآيات.

٤ـ الاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم وهو الله عز وجل.

٥ـ سنة التدرج في التربية والتعليم.

٦ـ وجوب البراءة من الشرك وأهله.

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات:

حاجه قومه : جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي.

أتحآجّوني في الله : اتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه، فكيف أتركه وأنا منه على بينة.

سلطاناً : حجة وبرهاناً.

الأمـــن[1] : خـــلاف الخـــوف.

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : أي لم يخلطوا إيمانهم بشـرك.

معنى الآيـات :

لما أقام إبراهيم الدليل على بطلان عبادة غير الله تعالى وتبرأ من الشرك والمشركين حاجه قومه في ذلك فقال منكراً عليهم ذلك: ﴿أتحاجوني[2] في الله وقد هدان﴾ أي كيف يصح منكم جدال لي في توحيد الله وعبادته، وترك عبادة ما سواه من الآلهة المدعاة وهي لم تخلق شيئاً ولم تنفـع ولم تضر، ومع هذا فقد هداني إلى معرفته وتوحيده وأصبحت على بينة منه سبحانه وتعالى، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان﴾. ولا شك أنهم لما تبرأ من آلهتهم خوفوه بها وذكروا له أنها قد تصيبه بمكروه[3] فرد ذلك عليهم قائلا: ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ من آلهة أن تصيبني بأذى، ﴿إلا أن يشاء ربي[4] شيئاً﴾ فإنه يكون قطعاً فقد ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾، ثم وبخهم قائلا ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتذكروا ما أنتم عليه هو الباطل، وأن ما أدعوكم إليه هو الحق، ثم رد القول عليهم قائلا ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ وهي أصنام جامدة لا تنفع ولا تضر لعجزها وحقارتها وضعفها، ولا تخافون أنتم الرب الحق الله الذي لا إله إلا هو المحيي المميت الفعال لما يريد، وقد أشركتم به أصنـاماً ما أنزل عليكم في عبادتها حجة ولا برهاناً تحتجون به على عبادتها معه سبحانه وتعـالى. ثم قال لهم استخـلاصـاً للحجـة وانتزاعالهامنهم فأي الفريقين أحق بالأمن من الخوف: أنا الموحد للرب، أم أنتم المشركون به؟ والجواب معروف وهو من يعبد رباً واحداً أحق بالأمن ممن يعبد آلهة شتى جمادات لا تسمع ولا تبصر. وحكم الله تعالى بينهم وفصل فقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم[5]﴾ أي ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أولئك لهم

---

(١) روي انهم قالوا له أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها؟

(٢) قرأ نافع بتخفيف نون اتحاجونني وثقلها غيره وتخفيفها مبني على حذف النون الثانية تخفيفاً ومن ثقلها فقد ادغمها في نون الرفع.

(٣) أخرج ابن كثير عن ابن مردويه أن رسول الله ﷺ قال: من أُعطي فشكر ومنع فصبر. وأذنب فاستغفر وظلم فغفر وسكت فقلنا يارسول الله ماله؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

(٤) قال هذا احتياطاً منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكه شوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا.

(٥) روي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنـــون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾.

الأمن﴾أي في الدنيا والآخرة ﴿وهم مهتدون﴾ في حياتهم إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهو الإسلام الصحيح ثم قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا[1] آتيناها إبراهيم على قومه﴾ إشارة إلى ما سبق من محاجة ابراهيم قومه ودحض باطلهم وإقامة الحجة عليهم. وقوله ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ تقرير لما فضَّل به إبراهيم على غيره من الإيمان واليقين والعلم المبين. ثم علل تعالى لذلك بقوله: ﴿إن ربك حكيم عليم﴾. حكيم في تدبيره عليم بخلقه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية جدال المبطلين والمشركين لإقامة الحجة عليهم علهم يهتدون.

٢ـ بيان ضلال عقول أهل الشرك في كل زمان ومكان.

٣ـ التعجب من حال مذنب لا يخاف عاقبة ذنوبه.

٤ـ أحق العباد بالأمن من الخوف من آمن بالله ولم يشرك به شيئاً.

٥ـ تقرير معنى ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

---

(١) ما هي تلك الحجة؟ هل هي جميع احتياجاته التي حاجهم بها فغلبهم وهذا هو الظاهر، وقيل هي قوله لهم: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها: قال لهم أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة والتعظيم فيغضب الكبير فيخبلكم.

شرح الكلمات :

وهبنا له : أعطيناه تكرماً منا وإفضالا .

اسحق ويعقوب : اسحاق بن إبراهيم الخليل ويعقوب ولد إسحاق ويلقب بإسرائيل .

كلا هدينا : أي كل واحد منهما هداه إلى صراطه المستقيم .

ومن ذريته : أي ذرية إبراهيم .

داود وسليمان : داود الوالد وسليمان الولد وكل منهما ملك ورسول .

وزكريا ويحيى : زكريا الوالد ويحيى الولد وكل منهما كان نبياً رسولا .

على العالمين : أي عالمي زمانهم لا على الإطلاق، لأن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء .

ومن ذرياتهم : أي من بعض الآباء والذرية والإخوة لا الجميع .

اجتبيناهم : اخترناهم للنبوة والرسالة وهديناهم إلى الإسلام .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى ماآتى إبراهيم خليله من قوة الحجة والغلبة على أعدائه ذكر منّة أخرى منَّ بها عليه وهي أنه وهبه[1] اسحق ويعقوب بعد كبر سنه ، اسحق الولد ويعقوب الحفيد وأنه تعالى هدى كلاً منهم الوالد والولد والحفيد ، كما أخبر تعالى أنه هدى من قبلهم نوحاً ، وهدى من ذريته[2] أي إبراهيم ، وإن كان الكل من ذرية نوح ، أي هدى من ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون[3] ، وأشار تعالى إلى أنهم كانوا محسنين، فجزاهم جزاء المحسنين والإحسان هو الإخلاص في العمل وأداؤه على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى مع الإحسان العام لسائر المخلوقات بما يخالف الإساءة إليهم في القول والعمل . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٤) وأما الآية الثانية (٨٥) فقد ذكر تعالى أنه هدى كذلك إلى حمل رسالته والدعوة إليه والقيام بواجباته وتكاليف شرعه كلاً من زكريا ويحيى وعيسى والياس ، وأخبر أن كل واحد منهم كان من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق

---

(١) أي جزاء صبره وحجاجه وبذله نفسه في سبيل نصرة دين ربه كافأه الله عز وجل بأن وهبه من الذرية الصالحة.

(٢) يصح عود الضمير على نوح كما يصح عوده على ابراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير لأن ذكرها قد مرّ معاً .

(٣) قال ابن عباس : هؤلاء الأنبياء جميعاً مضافون إلى ذرية ابراهيم وإن كان منهم من لم تلحقه ولادة من جهته لا من جهة الأب ولا الأم لأن لوطاً ابن أخ ابراهيم وعُدّ عيسى من ذريته وهو ابن البنت من هنا ذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن من وقف وقفاً على ولده وولد ولده دخل فيه ولد بناته لأن لفظ الولد يشمل الذكر والانثى كما يشمل عيسى عليه السلام وهو ولد البنت لا غير.

عباده كذلك كاملة غير ناقصة وكانت المجموعة الأولى داود وسليمان ومن ذكر بعدهما الصفة الغالبة عليهم الإحسان لأنه كان فيهم ملك وسلطان ودولة، والمجموعة الثانية وهي زكريا ويحيى وعيسى وإلياس الصفة الغالبة عليهم الصلاح لأنهم كانوا أهل زهد في الدنيا وأعراضها، والمجموعة الثالثة والأخيرة في الآية الثالثة (٨٦) وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط لم يغلب عليهم وصف مما وصف به المجموعتان الأولى والثانية، لأنهم وسط بين المجموعتين، فذكر تعالى أن كل واحد منهم فضله على عالمي زمانه، وكفى بذلك شرفاً وكرماً وخيراً. وأما الآية الأخيرة (٨٧) فإن الله تعالى يقول فيها، ومن آباء المذكورين من الأنبياء ومن ذرياتهم[1] وإخوانهم هديناهم أيضاً وإن لم نذكر اسماءهم فهم كثير هديناهم إلى ما هدينا إليه آباءهم من الحقِّ والدين الخالص الذي لا شائبة شرك فيه، واجتبينا[2] الجميع اخترناهم للنبوة والرسالة[3] ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ وهو الدين الإسلامي.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ سعة فضل الله.

٢ـ خير ما يعطى المرء في هذه الحياة الهداية إلى صراط مستقيم.

٣ـ فضيلة كل من الإحسان والصلاح.

٤ـ لا منافاة بين الملك والنبوة أو الإمارة والصلاح.

٥ـ فضيلة الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

---

(١) من للتبعيض أي هدى بعض أبنائهم وبعض ذرياتهم ولم يهد كل أب وكل ولد.

(٢) الاجتباء مشتق من جبيت الماء في الحوض جمعته فالاجتباء اختيار الشخص وضمه إلى خاصتك من الناس، والجبا مقصور مصدر جبيت الماء والجابية الحوض.

(٣) ذكر تعالى في هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً وبقي سبعة ذكروا في سورٍ أخرى وهم ادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل وآدم عليهم السلام وقد نظمهم البعض في ثلاثة أبيات من الشعر هي:

حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد عرفوا
في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
ادريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

هدى الله : الهدى ضد الضلال، وهدى الله ما يهدي إليه من أحب من عباده وهو الإيمان والاستقامة.

حبط عنهم ما كانوا يعملون : أي بطلت أعمالهم فلم يثابوا عليها بقليل ولا كثير.

الحكم : الفهم للكتاب مع الاصابة في الأمور والسداد فيها.

يكفر بها هؤلاء : يجحد بها أي بدعوتك الإسلامية هؤلاء : أي أهل مكة.

قوما ليسوا بها بكافرين : هم المهاجرون والأنصار بالمدينة النبوية.

اقتده : اقتد: أي اتبع وزيدت الهاء للسكت.

عليه أجراً أي على إبلاغ دعوة الإسلام ثمناً مقابل الإبلاغ.

ذكرى : الذكرى: ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر ما وهب الله تعالى لمن شاء من عباده من هدايات وكمالات لا يقدر على عطائها إلا هو فقال ذلك في الآية الأولى (٨٨) ذلك المشار إليه ما وهبه أولئك الرسل الثمانية عشر رسولاً وهداهم إليه من النبوة والدين الحق هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده. وقوله تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾[1] يقرر به حقيقة علمية، وهي أن الشرك محبط للعمل فإن أولئك الرسل على كمالهم وعلو درجاتهم لو أشركوا بربهم سواه. فعبدوا معه غيره لبطل كل عمل عملوه، وهذا من باب الافتراض، وإلا فالرسل معصومون

(١) حبوط العمل بطلانه وقد عصم الله تعالى انبياءه من الشرك فلذا لم تحبط ولم تبطل أعمالهم.

ولكن ليكون هذا عظة وعبرة للناس. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٨٩) فقد أشـاد الله تعالى بأولئك الرسل السابقي الذكر مخبراً أنهم هم الذين آتاهم الكتاب وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داوود وإنجيل عيسى والحكم[١] وهو الفهم والإصابة والسداد فى الأمور كلها. ثم قال تعالى فإن يكفر بهذه الآيات القرآنية وما تحمله من شرائع وأحكام وهداية الإسلام ﴿إن يكفر بها هؤلاء﴾ من أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ من قبل وهم الرسل المذكورون في هذا السياق وقوماً هم موجودون وهم المهاجرون والأنصار من أهل المـدينـة، ومن يأتي بعد من سائر البلاد والأقطار وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم[٢] اقتده﴾، يأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين[٣] في كمالاتهم كلها حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق. وكذلك كان، وقوله تعالى في ختام الآية الكريمة: ﴿قل لا أسألكم عليه[٤] أجراً﴾ يامره تعالى أن يقول لأولئك العادلين بربهم الأصنام والأوثان المكذبين بنبوته وكتابه: ما أسألكم على القرآن الذي أمرت أن أقراه عليكم لهدايتكم أجراً أي مالاً مقابل تبليغه إياكم ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للعالمين يتعظون بها إن هم القوا أسماعهم وتجردوا من أهوائهم وأرادوا الهداية ورغبوا فيها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الشرك محبط للعمل كالردة والعياذ بالله تعالى.

٢ـ فضل الكتاب الكريم والسنة النبوية.

٣ـ وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ وأهل العلم والصلاح من هذه الأمة.

٤ـ حرمة أخذ الأجرة على تبليغ الدعوة الإسلامية.

---

(١) قال القرطبي: والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولى بالاعتماد عليه.

(٢) قال القرطبي: الاقتداء طلب موافقة الغير في فعله. وقال: قد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب إتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص واستدلوا بحديث مسلم في حادثة الرُبيع إذ أمر الرسول بكسر سنها محتجاً بآية ﴿والسن بالسن﴾ وهو من أحكام بني اسرائيل ولم يوجد في القرآن غيره.

(٣) روى البخاري عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ﴿ص﴾ فقال سألت ابن عباس عن سجدة ﴿ص﴾ فقال أو تقرأ ﴿ومن ذريته داوود وسليمان﴾ إلى قوله ﴿أولئك هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وكان داوود عليه السلام ممن أمر نبيكم عليه السلام بالاقتداء بهم.

(٤) أي جعلا على القرآن.

٥ـ القرآن الكريم ذكرى لكل من يقرأه أو يستمع إليه وهو شهيد حاضر القلب .

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ(١) قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

وما قدروا الله حق قدره	: ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته .
على بشر	: أي إنسان من بني آدم .
الكتاب الذي جاء به موسى	: التوارة .
قراطيس	: جمع قرطاس : وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره .
تبدونها	: تظهرونها .
قل الله	: هذا جواب : من أنزل الكتاب ؟
ذرهم	: اتركهم .
في خوضهم	: أي ما يخوضون فيه من الباطل .
مبارك	: أي مبارك فيه فخبره لا ينقطع ، وبركته لا تزول .
أم القرى	: مكة المكرمة .
يحافظون	: يؤدونها بطهارة في أوقاتها المحددة لها في جماعة المؤمنين .

معنى الآيتين

مازال السياق مع العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحي

(١) فسرت الآية على قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما على قراءة تجعلون بالتاء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء .

الإلهي وتكذيبهم بالقرآن الكريم إذقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾، ومن هنا قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه كما ينبغي تعظيمه لما قالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾[1]، ولقن رسوله الحجة فقال له قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً﴾ يستضاء به في معرفة الطريق إلى الله تعالى وهدى يهتدى به إلى ذلك وهو التوراة جعلها اليهود قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، وقوله: ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ أي وعلمكم الله بهذا القرآن من الحقائق العلمية كتوحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، والدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم، ثم أمر الرسول أن يجيب عن السؤال الذي وجهه إليهم تبكيتاً: ﴿قل الله﴾ أي الذي أنزل التوراة على موسى هو الله. ﴿ثم ذرهم﴾ أي اتركهم ﴿في خوضهم﴾ أي في الباطل ﴿يلعبون﴾[2] حيث لا يحصلون من ذلك الخوض في الباطل على أي فائدة تعود عليهم فهم كاللاعبين من الأطفال. هذا ما تضمنته الآية الأولى (٩١) أما الآية الثانية (٩٢) فقد تضمنت أولاً الرد على قول من قال: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ أي كيف يقال ما أنزل الله على بشر من شيء وهذا القرآن بين أيديهم يتلى عليهم أنزله الله مباركاً لا ينتهي خيره ولا يقل نفعه، مصدقاً لما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به، ﴿ولتنذر أم القرى﴾[3] أي أهلها ﴿ومن حولها﴾ من المدن والقرى القريبة والبعيدة لينذرهم عاقبة الكفر والضلال فإنها الخسران التام والهلاك الكامل، وثانياً الإخبار بأن الذين يؤمنون بالآخرة أي بالحياة في الدار الآخرة يؤمنون[4] بهذا القرآن، وهم على صلاتهم يحافظون وذلك مصداق إيمانهم وثمرته التي يجنيها المؤمنون الصادقون.

---

(١) بيان ذلك انهم لما قالوا ما أنزل الله من شيء كانوا قد نسبوا إلى الله تعالى أنه لايقيم الحجة على عباده ولا يأمرهم بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم عما فيه خسرانهم وبهذا ما قدروا الله حق قدره وما آمنوا أنه على كل شيء قدير.

(٢) أي لاعبين لأنها حال من قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون إذ لو لم يكن حالاً لجزم في وجوب الطلب الذي هو ذرهم.

(٣) أم القرى مكة المكرمة.

(٤) يريد اتباع محمد ﷺ.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ ـ كل من كذب الله تعالى أو أشرك به أو وصفه بوصف لا يليق بجلاله فإنه لم يقدر الله حق قدره.[1]

٢ ـ بيان تلاعب اليهود بكتاب الله في إبداء بعض أخباره وأحكامه وإخفاء بعض آخر وهو تصرف ناتج من الهوى واتباع الشهوات وإيثار الدنيا على الآخرة.

٣ ـ بيان فضل الله على العرب بإنزال هذا الكتاب العظيم عليهم بلغتهم لهدايتهم.

٤ ـ تعليم الرسول ﷺ كيفية الحجاج والرد على المجادلين والكاذبين.

٥ ـ بيان علـة ونزول الكتاب وهي الايمان به وإنذار المكذبين والمشركين.

٦ ـ الإيمان بالآخرة سبب لكل خير، والكفر به سبب لكل باطل وشر.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

شرح الكلمـات :

افترى على الله كذباً : اختلق على الله كذباً قال عليه ما لم يقل، أو نسب له ما هو منه

---

(١) أي لم يعرفه حق معرفته ولم يعرف جلاله وعظمته ولا رحمته وحكمتهفلهذا قال ما قال من الباطل وهو نفيه إنزال الوحي الإلهي على رسوله محمد ﷺ.

براء .

أوحي إلـي	: الوحي : الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره .
غمـرات الموت	: شـــدائده عند نزع الروح .
باسـطوا أيديهم	: للضرب وإخراج الروح .
عذاب الهـون	: أي عذاب الذل والمهانة .
فــرادى	: واحداً واحداً ليس مع أحدكم مال ولا رجال .
ما خولناكـم	: ما أعطيناكم من مال ومتاع .
وراء ظهوركـم	: أي في دار الدنيـا .
وضــل عنكـم	: أي غــاب .
تزعمـــون	: تدعـون كاذبين .

معنى الآيـات :

مازال السياق مع المشركين والمفترين الكاذبين على الله تعالى بإتخاذ الأنداد والشركاء فقال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن ادَّعَى[1] أن الله نبأه وأنه نبيه ورسوله كما ادعى[2] سعد بن ابي سرح بمكة ومسيلمه[3] في بني حنيفة بنجدوالعنسى باليمن : اللهم لا أحد هو أظلم منه ، وممن قال أوحى إلّي شيء من عند الله ، ولم يوح إليه شيء وممن قال : ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ من الوحى والقرآن ، ثم قال تعالى لرسوله : ﴿ولو ترى﴾ يا رسولنا ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي في شدائد سكرات الموت ، ﴿والملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿بـاسـطوا أيديهم﴾ بالضرب وإخـراج الروح ، وهـم يقولون لأولئك المحتضرين تعجيزاً

---

(١) قال القرطبي : ومن هذا النمط أي المدعي للوحي ولم يوح إليه من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول وقع في خاطري كذا أو أخبرني قلبي بكذا أو أخبرني قلبي عن ربي فيحكمون بما وقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم ويزعمـون أن ذلـك لصفائها من الأكدار وخلوها عن الأغيار فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيستغنون بذلك عن أحكام الشرع ويقولون هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة وهي زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب .

(٢) أدعى عبد الله بن سعد الوحي لما كتب لرسول الله ﷺ قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر فاعجبه تفصيل خلق الله تعالى للإنسان قال فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت فشك عبدالله بن سعد حينئذ وارتد ولحق بالمشركين وأسلم عام الفتح وحسن إسلامه بشفاعة عثمان له إذ كان أخا له من الرضاعة وهو فاتح افريقيا ودعا ربه أن يموت وهو يصلي فمات في صلاة الصبح .

(٣) كانوا يسمونه رحمان اليمامة والعنسي هو الأسود العنسي ومنهم سجاح امرأة مسيلمة قال ابن عباس وقتادة نزلت هذه الآية في مسيلمة .

وتعذيباً لهم : ﴿أخرجوا[1] أنفسكم، اليوم[2] تجزون عذاب الهون﴾ بسبب استكباركم[3] في الأرض بغير الحق إذ الحامل للعذرة وأصله نطفة قذرة، ونهايته جيفة قذرة، استكباره في الأرض حقا إنه استكبارٌ باطلٌ لا يصح من فاعله بحال من الأحوال. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآية الثانية (٩٤) فإن الله تعالى يخبر عن حال المشركين المستكبرين يوم القيامة حيث يقول لهم ﴿لقد جئتمونا فرادى[4]﴾ أي واحد واحداً ﴿كما خلقناكم﴾ حفاة عراة[5] غُرْلاً ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي ما وهبناكم من مال وولد ﴿وراء ظهوركم﴾ أي في[6] دار الدنيا، ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ وأنتم كاذبون في زعمكم مبطلون في اعتقادكم ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي انحل حبل الولاء بينكم، ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أي ما كنتم تكذبون به في الدنيا.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ قبح الكذب على الله تعالى في أي شكل، وأن صاحبه لا أظلم منه قط.

٢ـ تقرير عذاب القبر، وسكرات الموت وشدتها، وفي الحديث: أن للموت سكرات.

٣ـ قبح الاستكبار وعظم جرمه.

٤ـ تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.

٥ـ انعدام الشفعاء يوم القيامة إلا ما قضت السنة الصحيحة من شفاعة النبي ﷺ والعلماء والشهداء بشروط هي: أن يأذن الله للشافع أن يشفع وأن يرضى عن المشفوع له.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ

---

(١) الغمره الشدة وأصلها من غمر الشيء إذا غطاه ومنه غمر الماء.
(٢) يقال لهم هذا توبيخاً لهم وتقريعاً أي خلصوها من هذا العذاب إن أمكنكم.
(٣) تستكبرون أي تتعظمون وتأنفون من قول الحق الذي هو توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده المؤمنين.
(٤) هذا يوم القيامة يوم يحشرون إلى ربهم، وفرادى في موضع نصب على الحال.
(٥) روي أن عائشة رضي الله عنها قرأت قول الله تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى... الخ﴾ فقالت يا رسول الله واسوأتاه الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوءة بعض؟ فقال رسول الله ﷺ لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض.
(٦) ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس.

ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

فالق الحب والنوى : شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع، والنوى واحده نواة وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة).

يخرج الحي من الميت : الدجاجة من البيضة.

ومخرج الميت من الحي : البيضة من الدجاجة.

فأنى تؤفكون : كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلى عبادة الجمادات.

فالق الإصباح : الإصباح: بمعنى الصبح وفلقه: شقه ليتفجر منه النور والضياء.

سكنا : يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

حسباناً : أي حسابا بهما تعرف الأوقات الأيام والليالي والشهور والسنون.

تقدير العزيز العليم : إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال وأفعال عباده.

لتهتدوا بها : أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة طرقهم في البر والبحر.

من نفس واحدة : هي آدم أبو البشر عليه السلام.

فمستقر : أي في الأرحام.

ومستودع : أي في أصلاب الرجال.

يفقهون : أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهتدوا لما هو حق وخير.

خضراً : هو أول ما يخرج من الزرع ويقال له القصيل الأخضر.

متراكبا : أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

طلع النخل : زهرها.

قنوان : واحده قنو وهو العِذْق وهو العُرْجون بلغة أهل المغرب.

مشتبهاً وغير متشابه : في اللون وغير مشتبه في الطعم.

وينعه : أي نضجه واستوائه.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان الدليل على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان عبادة غيره فقال تعالى واصفاً نفسه بأفعاله العظيمة الحكيمة التي تثبت ربوبيته وتقرر ألوهيته وتبطل ربوبية وألوهية غيره مما زعم المشركون أنها أرباب لهم وآلهة: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ أي هو الذي يفلق الحب ويخرج منه الزرع لا غيره وهو الذي يفلق النوى، ويخرج منه الشجر والنخل لا غيره فهو الإله الحق إذاً وما عداه باطل، وقال: ﴿يخرج الحيّ من الميت﴾ فيخرج الزرع الحيّ من الحب الميت ﴿ويخرج الميت من الحيّ﴾[1] فيخرج الحب من الزرع الحيّ، والنخلة والشجرة من النواة الميتة ثم يقول: ﴿ذلكم الله﴾ أي المستحق للإلهية أي العبادة وحده ﴿فأنى

(١) أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

تؤفكون﴾ أي فكيف يا للعجب تصرفون عن عبادته وتأليهه إلى تأليه وعبادة غيره. ويقول: ﴿فالق الإصباح[1]﴾ أي هو الله الذي يفلق ظلام الليل فيخرج منه ضياء النهار ﴿وجعل الليل سكناً﴾: أي ظرف سكن وسكون وراحة تسكن فيه الأحياء من تعب النهار والعمل فيه ليستريحوا، وقوله: ﴿والشمس والقمر حسباناً[2]﴾ أي وجعل الشمس والقمر يدوران في فلكيهما بحساب تقدير لا يقدر عليه إلا هو، وبذلك يعرف الناس الأوقات وما يتوقف عليها من عبادات وأعمال وآجال وحقوق ثم يشير الى فعله ذلك فيقول: ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿العليم﴾ بسائر خلقه وأحوالهم وحاجاتهم وقد فعل ذلك لأجلهم فكيف إذاً لا يستحق عبادتهم وتأليههم؟ عجباً لحال بني آدم ما أضلهم؟!

ويقول تعالى في الآية الثالثة (٩٧) ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ هذه منة أخرى من منته على الناس ومظهراً آخر من مظاهر قدرته حيث جعل لنا النجوم ليهتدي به مسافرونا في البر والبحر حتى لا يضلوا طريقهم فيهلكوا فهي نعمة لا يقدر على الإنعام بها إلا الله، فلم إذاً يكفر به ويعبد سواه؟ وقوله: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يخبر به تعالى على نعمة أخرى وهي تفصيله تعالى للآيات وإظهارها لينتفع بها العلماء الذين يميزون بنور العلم بين الحق والباطل والضار والنافع ويقول في الآية الرابعة (٩٨) ﴿وهو الذي أنشأكم ـ أي خلقكم ـ من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام، فبعضكم مستقر[3] في الأرحام وبعضنا مستودع في الأصلاب وهو مظهر من مظاهر إنعامه وقدرته ولطفه وإحسانه، ويختم الآية بقوله ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ لتقوم لهم الحجة على ألوهيته تعالى دون ألوهية ما عداه من سائر المخلوقات لفهمهم أسرار الكلام وعلل الحديث ومغزاه.

ويقول في الآية (٩٩) ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً﴾ وهو ماء المطر ويقول ﴿فأخرجنا

---

(١) الإصباح مصدر أصبح يصبح إصباحاً أي يخرج النور من الظلام إذ نور الفجر يشق ظلمة الليل ويخرج عنها الصبح والإصباح أول النهار ويجمع الإصباح على أصباح بفتح الهمزة وقرىء به.

(٢) حسباناً أي بحساب يتعلق به مصالح العباد، والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان أي جعل الله سير الشمس والقمر بحساب ولا يزيد ولا ينقص ويطلق الحسبان على النار كما في قوله تعالى ويرسل عليها حسباناً من السماء أي ناراً.

(٣) قال عبدالله بن مسعود لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا على قراءة مستقر بفتح القاف بمعنى لها مستقر وأكثر المفسرين على ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت فقلت لا. قال فإن الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه. أما قوله تعالى ﴿ولكم في الأرض مستقر ومستودع إلي حين﴾ فالمستقر هو القبر مودع. فيه الإنسان إلى يوم القيامة.

به نبات كل شيء﴾ أي ينبت أي قابل للإنبات من سائر الزروع والنباتات ويقول فأخرجنا من ذلك النبات خضراً وهو[1] القصيل للقمح والشعير، ومن الخضر[2] يخرج حباً متراكباً في سنابله، ويقول عز وجل: ﴿ومن النخْل من طلعها قنوان دانية﴾ أي ويخرج بإذن الله تعالى من طلع النخل قنوان جمع قنو العذق دانية متدلية وقريبة لا يتكلف مشقة كبيرة من أراد جنيها والحصول عليها[3]، وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾ يقول وأخرجنا به بساتين من نخيل وأعناب، وأخرجنا به كذلك الزيتون والرمان حال كونه مشتبهاً في اللون وغير متشابه في الطعم، كلوا من ثمره إذا أثمر وينعه ينبت لديكم ذلك التشابه وعدمه، وختم الآية بقوله: إن في ذلكم المذكور كله ﴿لآيات﴾ علامات ظاهرات تدل على وجوب ألوهية الله تعالى وبطلان ألوهية غيره ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم أحياء يفعلون ويفكرون ويفهمون أما غيرهم من أهل الكفر فهم أموات القلوب لما ران عليها من أوضار الشرك والمعاصي فهم لا يعقلون ولا يفقهون فأنى لهم أن يجدوا في تلك الآيات ما يدلهم على توحيد الله عز وجل؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الله خالق كل شيء فهو رب كل شيء ولذا وجب أن يؤله وحده دون ما سواه.

٢- تقرير قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء وحكمته في كل شيء.

٣- فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر.

٤- يتم إدراك ظواهر الأمور وبواطنها بالعقل.

٥- يتم إدراك أسرار الأشياء بالفقه.

٦- الإيمان بمثابة الحياة، والكفر بمثابة الموت في إدراك الأمور.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

---

(١) خضر بمعنى أخضر كمطرة بمعنى ماطرة ومنه قولهم: أرنها نمرة أركها مطرة أي أرني سحابة كأنها نمرة في شكلها أركها ماطرة يتصبب منها الماء الغزير.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد القمح والشعير والسلت والذرة والأرز وسائر الحبوب.

(٣) هذا قصار النخل إذ يجنى ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع وتطول فيرقى اليها.

يصفون ﴿١٠٠﴾ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴿١٠١﴾ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴿١٠٢﴾ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

شركاء	: جمع شريك في عبادته تعالى.
الجن	: عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترى لنا إلا إذا تشكلت بما يُرى.
وخرقوا	: اختلقوا وافتاتوا.
يصفون	: من صفات العجز بنسبة الولد والشريك إليه.
بديع السموات والأرض	: مبدع خلقهما حيث أوجدهما على غير مثال سابق.
أنى يكون له ولد	: أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون.
ولم تكن له صاحبة	: أي زوجة.
لا تدركه الأبصار	: لا تراه في الدنيا، ولا تحيط به في الآخرة.
وهو يدرك الأبصار	: أي محيط علمه بها.
وهو اللطيف	: الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء.

معنى الآيات :

لقد جاء في الآيات السابقة من الأدلة والبراهين العقلية ما يبهر العقول ويذلها لقبول التوحيد، وأنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه، ولكن مع هذا فقد جعل الجاهلون لله من

الجن شركاء فأطاعوهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام والأوثان، وهذا ما أخبر به تعالى في هذه الآية الكريمة (١٠٠) إذ قال ﴿وجعلوا لله شركاء الجن[١] وخلقهم[٢] وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ ومعنى الآية وجعل العادلون بربهم الأصنام والجن شركاء لله في عبادته، وذلك بطاعتهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام، والحال أنه قد خلقهم فالكل مخلوق له العابد والمعبود من الجن والأصنام، وزادوا في ضلالهم شوطاً آخر حيث اختلقوا له البنين والبنات وهذا كله من تزيين الشياطين لهم وإلا فأي معنى في أن يكون لخالق العالم كله بما فيه الإنس والجن والملائكة أبناء وبنات. هذا ما عناه تعالى بقوله: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ فنزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما وصفوه به كذباً بحتاً وتخرّصاً كاملاً من أن له بنين وبنات وليس لهم على ذلك أي دليل علمي لا عقلي ولا نقلي، وقد شارك في هذا الباطل العرب المشركون حيث قالوا الملائكة بنات الله، واليهود حيث قالوا عزير ابن الله، والنصارى إذ قالوا المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول المبطلون. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٠١) فقد تضمنت إقامة الدليل الذي لا يرد على بطلان هذه الفرية المنكرة فرية نسبة الولد لله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي خالقها على غير مثال سابق ﴿أنى[٣] يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أي يا للعجب كيف يكون لله ولد ولم تكن له زوجة إذ التوالد يكون بين ذكر وأنثى لحاجة إليه لحفظ النوع وكثرة النسل لعمارة الأرض بل ولعبادة الرب تعالى بذكره وشكره، **أما الرب تعالى فهو خالق كل شيء ورب كل شيء فأي معنى لاتخاذ ولد له، لولا تزيين الشياطين للباطل حتى يقبله أولياؤهم من الإنس، وقوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ دليل آخر على بطلان ما خرق أولئك الحمقى لله من ولد، إذ لو كان لله ولد لعلمه وكيف لا، وهو بكل شيء عليم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٠٢)**

---

(١) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث الأولى: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله إذ المطاع الحق هو الله تعالى:
والثانية: قولهم الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنى جعلوا لله شركاء الجن لأن الملائكة لا يرون كالجن قال تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ فسمى الملائكة جناً لاجتنابهم واستتارهم عن عيون الناس والثالثة: أن الزنادقة قالوا الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.
(٢) قوله تعالى وخلقهم يصح عود الضمير فيه على العادلين كما في التفسير ويصح عوده على الجن الذين اتخذوهم شركاء لله يعبدونهم معه.
(٣) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلاّ من صاحبة أي زوجة.

وهي قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾[1] أي ذلكم الله الذي هو بديع السموات والأرض والخالق لكل شيء والعليم بكل شيء هو ربكم الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ولا تشركوا به سواه. وإنه لكفيل برزقكم وحفظكم ومجازاتكم على أعمالكم وهو على كل شيء قدير. والآية الأخيرة في السياق الكريم (١٠٣) يقرر تعالى حقيقة كبرى وهى أن الله تعالى مباين لخلقه في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء فكيف يشرك به وكيف يكون له ولد، وهو لا تدركه الأبصار[2] وهو يدركها وهو اللطيف[3] الذي ينفذ علمه وقدرته في كل ذرات الكون علويِّه وسفليِّه الخبير بكل خلقه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.

٢ـ تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد. ٣ـ مباينة الرب تبارك وتعالى لخلقه.

٤ـ استحالة رؤية الرب في الدنيا،[4] وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) هذا أكبر برهان على بطلان نسبة الولد له تعالى إذ كل شيء خلقه فهل من خلق شيئاً يقال لمن خلقه ولده؟ لو صح هذا لقالوا لكل من صنع شيئا هو أبوه والمصنوع ولده ولا قائل بهذا البتة.

(٢) لا تدركه الأبصار بمعنى لا تحيط به ولذا يراه أولياؤه في الجنة رؤية بصرية فينظرون إلى وجهه الكريم وأما رؤيته تعالى فمتعذرة في الحياة الدنيا إذ طلبها موسى ولم ينلها لعجز الإنسان عن رؤية الله تعالى بهذه الأبصار المحدودة القدرة والطاقة.

(٣) روي في الصحيحين ما يفيد تعذر رؤية الله في الدنيا لضعف الإنسان فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع الله عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٤) وفسر اللطيف بالرفيق بعباده واللطيف من أسماء الله تعالى. ولذا هو يلطف بعباده. كما هو للطفه لا يدرك بالكيفية، واللطيف في الأجسام الذي يدخل في كل شيء.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

شـرح الكـلمات :

بصائر من ربكم : البصائر جمع بصيرة: والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها.

حفيـــظ : وكيــل مســئول.

نصرف الآيـات : نجريها في مجاري مختلفة تبياناً للحق وتوضيحاً للهدى المطلوب.

وليقولوا درست : أي تعلمت وقرأت لا وحياً أوحي إليك.

وأعرض عن المشركين : أي لا تلتفت إليهم وامض في طريق دعوتك.

ولو شاء الله ما أشركوا : أي لو شاء أن يحول بينهم وبين الشرك حتى لا يشركوا لَفَعَلَ وما أشركوا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية المشركين وبيان الطريق لهم ففي هذه الآية يقول ﴿قد جاءكم﴾ أي أيها الناس ﴿بصائر من ربكم﴾[1] وهي آيات القرآن الموضحة لطريق النجاة ﴿فمن أبصر﴾ بها وهي كالعين المبصرة ﴿فلنفسه﴾ إبصاره إذ هو الذي ينجو ويسعد ﴿ومن عمي﴾ فلم يبصر فعلى نفسه عماه إذ هي التي تهلك وتشقى وقل لهم يا رسولنا ﴿ما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي بوكيل مسئـول عن هدايتكم، وفي الآية الثانية(١٠٥) يقول تعالى: ﴿وكذلك[2] نصرف الآيات﴾ أي بنحو ما صرفناها من قبل في هذا القرآن نصرفها كذلك لهداية مريدي الهداية والراغبين[3] فيها أما غيرهم فسيقولون درست[4] وتعلمت من غيرك حتى يحرموا الإيمان

---

(١) قد جاءكم بصائر أي حجج وبينات ووصفها بالمجيء لتضخيم شأنها وإكباره.

(٢) كذلك الكاف في محل نصب أي مثل أي نصرف الآيات: مثل ذلك التصريف.

(٣) وهم المذكورون في الآية ولنبينه لقوم يعلمون.

(٤) قرىء دارست أي ذاكرت أهل الكتاب وتعلمت عنهم ولم يوح إليك شيء واللام في قوله وليقولوا درست، هي لام العاقبة كما يقال كتب فلان هذا الكتاب لحتفه، وفي القرآن ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾.

بك وبرسالتك والعياذ بالله تعالى، وفي الآية الثالثة (١٠٦) يأمر الله تعالى رسوله باتباع ما يوحى إليه من الحق والهدى، والإعراض عن المشركين المعاندين الذين يقولون درست حتى لا يأخذوا بما أتيتهم به ودعوتهم إليه من آيات القرآن الكريم إذ قال تعالى له: ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾[1] وفي الآية الرابعة (١٠٧) يسلي الرب تعالى رسوله ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ومحاربته فيها فيقول له: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾[2] أي لو يشاء الله عدم إشراكهم لما قدروا على أن يشركوا إذاً فلا تحزن عليهم، هذا أولاً، وثانياً ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ تراقبهم وتحصي عليهم أعمالهم وتجازيهم بها، وما أرسلناك عليهم وكيلا تتولى هدايتهم بما فوق طاقتك ﴿إن عليك الا البلاغ﴾ وقد بلغت إذاً فلا أسى ولا أسف!!

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ آيات القرآن بصائر من يأخذ بها يبصر طريق الرشاد وينجو ويسعد.

٢ـ ينتفع بتصريف الآيات وما تحمله من هدايات العالمون لا الجاهلون وذلك لقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٥) ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾.

٣ـ بيان الحكمة في تصريف الآيات وهي هداية من شاء الله هدايته.

٤ـ وجوب اتباع الوحي المتمثل في الكتاب والسنة النبوية.

٥ـ بيان بطلان مذهب القدرية «نفاة القدر».

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.

(٢) في الآية دليل على إبطال مذهب القدرية وهم نفاة القدر والزاعمون أن أفعال العباد لم تقدر عليهم وإنما هم الخالقون لها بدون إذن الله وإرادته.

لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ولا تسبوا	: ولا تشتموا آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله تعالى .
عدواً	: ظلماً .
زينا لكل أمة عملهم	: حسناه لهم خيراً كان أو شراً حتى فعلوه .
جهد أيمانهم	: أي غاية اجتهادهم في حلفهم بالله .
آية	: معجزة كإحياء الموتى ونحوها .
وما يشعركم	: وما يدريكم
ونذرهم	: نتركهم .
يعمهون	: حيارى يترددون .

معنى الآيات :

عندما ظهر رسول الله ﷺ وأصبح يصدع بالدعوة جهراً بعدما كانت سراً أخذ بعض أصحابه يسبون أوثان المشركين، فغضب لذلك المشركون وأخذوا يسبون الله تعالى إله المؤمنين وربهم فنهاهم تعالى عن ذلك أي عن سب آلهة المشركين بقوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ أي لا تسبوا آلهتهم ﴿فيسبوا[1] الله عدواً[2]﴾ أي ظلماً واعتداء بغير علم، إذ لو علموا جلال الله وكماله لما سبوه، وقوله تعالى: ﴿وكذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ بيان منه تعالى لسنته في خلقه وهي أن المرء إذا أحب شيئاً أو رغب فيه وواصل ذلك الحب وتلك الرغبة يصبح زيناً له ولو كان في الواقع شيناً. ويراه حسناً وإن كان في حقيقة الأمر

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه. فنزلت الآية وهذا الحكم باق إلى نهاية الحياة فإن كان سب المؤمن الكافر يؤدي إلى سب الله تعالى أو رسوله فلا يحل للمؤمن أن يسب الكافر أو دينه.

(٢) وقرىء عُدوا بضم العين والدال ومعنى القراءتين واحد وهو الجهل والإعتداء الذي هو الظلم.

قبيحاً، ومن هنا كان دفاع المشركين عن آلهتهم الباطلة من هذا الباب فلذا لم يرضوا أن تسب لهم وهددوا الرسول والمؤمنين بأنهم لو سبوا آلهتهم لسبوا لهم إلههم وهو الله تعالى، وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يخبر تعالى أن مرجع الناس المزين لهم أعمالهم خيرها وشرها ورجوعهم بعد نهاية حياتهم إلى الله ربهم فيخبرهم بأعمالهم ويطلعهم عليها ويجزيهم بها الخير بالخير والشر بالشر. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٨) وأما الآيتان الثانية (١٠٩) والثالثة (١١٠) فقد أخبر تعالى أن المشركين أقسموا[1] بالله أبلغ إيمانهم وأقصاها أنهم إذا جاءتهم آية كتحويل جبل الصفا إلى ذهب آمنوا عن آخرهم بنبوة محمد ﷺ ورسالته واتبعوه على دينه الذي جاء به، قال هذا رؤساء المشركين، والله يعلم أنهم إذا جاءتهم الآية لا يؤمنون، فأمر رسوله أن يرد عليهم قائلا: ﴿إنما الآيات عند الله﴾ هو الذي يأتي بها إن شاء أما أنا فلا أملك ذلك. إلا أن المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ رغبوا في مجيء الآية حتى يؤمن المشركون وينتهي الصراع الدائر بين الفريقين فقال تعالى لهم: ﴿وما يشعركم[2]﴾ أيها المؤمنون ﴿أنها إذا جاءت[3] لا يؤمنون﴾ أي وما يدريكم أن الآية لو جاءت لا يؤمن بها المشركون؟ وبين علة عدم إيمانهم فقال: ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ فلا تعي ولا تفهم ﴿وأبصارهم﴾ فلا ترى ولا تبصر. فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة لما دعوا إلى الإيمان به ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي ونتركهم في شركهم وظلمهم حيارى يترددون لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهداية من الضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة قول أو فعل ما يتسبب[4] عنه سب الله ورسوله.

٢ـ بيان سنة الله في تزيين الأعمال لأصحابها خيراً كانت أو شراً.

٣ـ بيان أن الهداية بيد الله تعالى وأن المعجزات قد لا يؤمن عليها من شاهدها.

---

(١) في هذا دليل الموادعة والأخذ بمبدأ سد الذرائع.

(٢) كان المشركون يحلفون بآلهتهم، وإذا حلفوا بالله كان ذلك أقصى أيمانهم وأشدها. وهنا مسألة لو قال المرء الأيمان تلزمه ثم حنث فإن عليه إطعام ثلاثين مسكيناً لأن أقل الجمع ثلاثة، وإن لم يكن له مال صام تسعة أيام.

(٣) الإشعار مصدر أشعره إذا أعلمه بأمر من شأنه أن يخفى ويدق.

(٤) قرئت إنها بكسر الهمزة على الاستئناف فيكون الكلام قد انتهى عند قوله وما يشعركم ويكون المعنى وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ثم قال إنها إذا جاءت لا يؤمنون. فذكرعلة عدم إيمانهم بقـوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم.